الفصل الثاني: الشيخ أبو مزيريق سيرته وحياته العلمية

يتحدث الباحث في هذا الفصل عن أبي مزيريق بشيء من التفصيل عن سيرته وحياته، ونظراً لقرب وفاته لم يجد الباحث من تناوله بالترجمة في كتاب أو بحث علمي، فاعتمد الباحث على بعض المقالات المنشورة على الشبكة العنكبوتية الإنترنت، وغالباً تلك المقالات كتبها بعض تلاميذ الشيخ الذين درسوا على يديه العلم، فهم على معرفة تامة بالشيخ فهم يعدون مرجعاً مهماً في ترجمة الشيخ، هذا فيما يخص الترجمة أما الحديث عن عصره فاعتمد الباحث على عدة مصادر تناولت الفترة التي عاشها الشيخ، فتركز هذا الفصل على التعريف بالشيخ بذكر ترجمته وشيوخه ومصنفاته، وواجهت الباحث بعض الصعوبات تمثلت في شح المصادر في إيجاد تراجم لبعض شيوخه، وذلك بسبب قرب الوفاة وعدم تناولهم بالكتابة من قبل الباحثين، إلى جانب ترجمة المفسر تعرض الباحث للعصر الذي عاش فيه الشيخ سياسياً واقتصادياً وعلمياً، لمزيد من البيان والكشف عن شخصية أبي مزيريق.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المبحث الأول: ترجمة الشيخ أبي مزيريق -رحمه الله-

المطلب الأول: اسمه ومولده ووفاته

هو أحمد عبد السلام محمد أبو مزيريق، ولد رحمه الله في قرية رأس علي[83] بمدينة مصراته[84]—ليبيا—سنة 1929م، وكان أبوه -رحمه الله- تاجراً وشارك في معارك قصر أحمد[85]، ومعركة المشرك[86]، وكان لأبيه عم استشهد في إحدى معارك قصر أحمد، يرجع نسبه إلى أسرة البيرة[87]، وكانت عائلته من سكان منطقة البيرة، ثم انتقلت إلى منطقة رأس علي، وأول من سكن هذه المنطقة هو جده أحمد ولقب

---

(83) حي بمدينة مصراته يقطنه بعض العائلات منها: عائلة الحاج سليمان وعائلة حميدة. هنريكو دي أغسطيني. 1974 م. *سكان ليبيا*. المترجم: خليفة محمد التلّيسي. الدار العربية للكتاب. ج 1. ص 209.

(84) كلمة "مصراته" كلمة بربرية كانت تطلق على قبيلة بربرية من قبائل هوارة المشهورة، وهي أحد مدن ليبيا تقع شرقي طرابلس بحوالي 215 ك م، اشتهرت منذ القدم بالنشاط التجاري، تتجلى على بداية خليج سرت من الشمال، تتكون مصراته من عدة قبائل منها الأهالي، والأشراف، والقولوغلية، وعدة جماعات أخرى ينتمون إلى قبائل عربية، كلها يتحدث اللغة العربية. الطاهر أحمد الزاوي. 1968 م. *معجم بلدان ليبيا*. طرابلس: مكتبة النور. ص 316، 317. هنريكو دي أغسطيني. 1974 م. *سكان ليبيا*. المترجم: خليفة محمد التلّيسي. الدار العربية للكتاب. ج 1. ص 209.

(85) إحدى معارك الجهاد الوطني الليبي ضد المستعمر الإيطالي، وقعت في تلال المنطقة عدة معارك، الأولى كانت في 16 يونيو 1912 م، ثم انسحب المستعمرون الأيطاليين منها في سنة 1915 عقب هزيمتهم في القرضابية، ثم بدأوا في إعداد العدة لمعاودة الاحتلال مرة أخرى في سنة 1922 م، ففي 25 يناير 1922 م خرجت من إيطاليا قوة قوامها 18000 جندي في باخرتين لنقل الجنود وسبع قطع بحرية بين زوارق وطوربيدات، بدأت المعركة فعلياً يوم 26 يناير 1922 م الساعة الخامسة صباحاً، استمرت المعركة لأيام بذل فيها المقاومون الوطنيون الغالي والنفيس، وكانت معارك طاحنة استخدم فيها المستعمر أسلحته البحرية والبرية، وبعد أيام عديدة من المعارك وفي يوم السبت 11 فبراير 1922 م ترك المجاهدون منطقة قصر أحمد وانتقلوا إلى منطقة الزروق. خليفة محمد التليسي. 1983م. *معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1931*. طرابلس: الدار العربية للكتاب. ص 417.

(86) معركة سواني المشرّك أو معركة بئر تاجموت كما تسمى في المصادر اللإيطالية، هي أحد معارك الجهاد الليبي ضد المستعمر الإيطالي، وقعت في 4 مايو 1923، قاوم فيها المجاهدون ببسالة وشراسة رغم قلة العدة والعتاد، باعتراف المستعمر نفسه، بلغ عدد الشهداء في هذه المعركة 150 شهيد. خليفة محمد التليسي. 1983م. *معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1931*. طرابلس: الدار العربية للكتاب. ص 287.

(87) أولاد البيرة أحدى العائلات التي تسكن مصراته، من قبيلة أولاد بعيو، يسكنون حي البيرة والبلابلة، يرجع أصلهم إلى الأشراف الذين سكنوا مصراته. *سكان ليبيا*. ج 1. ص 274.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

بومْزيريق[88]، وكان آباؤه يعرفون بالبيرة. توفي أبوه سنة 1974 م عن 74 سنة.

عمّر الشيخ المفسر عمره بالعلم تعلماً وتعليماً، ولم يترك التدريس إلا بعد مرضه في حوالي 2007م، وانقطع عن الفتوى كذلك، حتى فاضت الروح إلى باريها سنة 2010 م، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

أما أمه فهي من عائلة اشتيوي[89] من رأس علي وتوفيت سنة 1941م، وكان جده فلاحاً وتاجراً، وكان الشيخ أحمد يحبه ويلتصق به كثيرا، ولد جده سنة 1875 وتوفي سنة 1974.

وجد الشيخ من أبيه وجدِّه التوجيه السليم وتفريغه للدراسة وطلب العلم، وعدم تكليفه بالعمل رغم صعوبة المعيشة في تلك الفترة، وكانوا يحثونه على طلب العلم، فنشأ نشأة طيبة في أكناف هذه الأسرة الكريمة، ولم يشتهر أحد من أسرته بالعلم قبله.

المطلب الثاني: حياته العلمية

درس الشيخ أحمد أبو مزيريق القرآن العظيم في البيرة باكرة، وحفظه وعمره يقرب من الثالثة عشرة، وأبرز الذين أقرأوه القرآن الشيخان الفاضلان المربيان: علي الشريف المغربي، وعلي حسن المنتصر، وفي سنة 1950م تولى الإمامة والخطابة وتعليم القرآن بجامع المغاربة بعد أن شجعه شيخه ومعلمه الشيخ علي المنتصر لهذه المهمة، وفي سنة 1955م اشترك للحصول على الشهادة الابتدائية من معهد القويري

---

(88) يقول الشيخ عن أصل لقبه ومعناه : "بومزيريق" أصلها الفصيح : أبومُزَيْرِيق، مصغر مِزْريق مأخوذ من زرق: انفصل، خرج بسرعة واختفى بسرعة وهو يَدُلّ على سرعة الحركة والخفة والنشاط، وهي صفة ظاهرة يتحلّى بها جدي محمد، وهي السبب في تسميته "بومزيريق". عبير الأحمري 1432/08/19 - 2011/07/20، 03:46 am. ملتقى أهل الحديث. رابط: http://vb.tafsir.net/tafsir18421/#.VsPg8NAutb0

(89) أحد عائلات مصراته ترجع إلى قبيلة الزوابي. هنريكو دي أغسطيني. 1974 م. *سكان ليبيا*. المترجم: خليفة محمد التلّيسي. الدار العربية للكتاب. ج 1. ص 271.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الديني، وبعد افتتاح القسم الثانوي بالمعهد نال منه الشهادة الثانوية سنة 1964م، ثم انتقل بعدها إلى مدينة البيضاء لمواصلة دراسته الجامعية بكلية أصول الدين بالجامعة الاسلامية بالبيضاء، وقد كان عميد الجامعة حينذاك الشيخ مصطفى التريكي[90]، ونال العالمية من هذه الكلية سنة 1968م، وخلال دراسته بالجامعة تتلمذ على العديد من العلماء، ومن ألمع من درس عليهم الشيخ أحمد أبومزيريق الشيخ محمد السماحي الذي تأثر به، وانعكس على منهجيته في تفسيره، من حيث المنهجية التي اتبعها في عدم روايته للإسرائيليات التي وردت في تفسير الآيات القرآنية، ورفضه لرواية الأحاديث الضعيفة في تفسيره، فقد قال عن شيخه السماحي: إنه كان يمتاز بإشراقة الفكرة ورفض الخرافة ورفض الدجل في التفسير وكان يرفض الأحاديث الضعيفة وله دقة خاصة في توجيه الأحاديث النبوية الشريفة. وكان قد أخذ عن شيخه محمد السماحي بحث تخرجه الذي عنونه بـ"الكلمات العشر في القرآن"[91].

المطلب الثالث: وظائفه

اشتغل رحمه الله بالتدريس، متنقلاً بين العديد من المعاهد، بعد إكماله دراسته وتخرجه من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بالبيضاء سنة 1968م، انتقل للتدريس بمعهد المعلمات بالبيضاء مدة سنة واحدة، ثم نُقِل بعدئذ إلى معهد القراءات بالبيضاء أيضًا، ودرّس طلابه به زهاء ثلاث سنين، من عام 1971م، إلى عام 1973م، ثم رجع الشيخ أحمد أبو مزيريق من البيضاء إلى مسقط رأسه مصراتة، وإثر عودته

---

(90) مصطفى عبد السلام التريكي، أحد علماء ليبيا المشهورين، ولد سنة 1929م، تلقى العلوم الشرعية في مدارس مصراتة وزاوية عبد السلام الأسمر بزليتن، ثم انتقل إلى الأزهر ليتحصل على أعلى الشهادات، كانت له حلقات علمية في المسجد النبوي بالمدينة المنورة والمسجد الحرام بمكة المكرمة استمرت لمدة عشرين عاما. توفي يوم الجمعة الموافق 15/10/2010 م، في ألمانيا د ك. 2040-10-15 الساعة : 18:27:38. " ليبيا تودع منارة العلم والفقه الشيخ مصطفى التريكي" شبكة الحوار لنشر الأخبار. http://www.alhiwar.net/ShowNews.php?Tnd=10754
د ك. 14 أكتوبر 2009 م. "مصطفى التريكي". موسوعة ويكيبيديا:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A#cite_note-.D8.AD.D9.88.D8.A7.D8.B1-1

(91) مدونة الشيخ محمد محمد السماحي من أعلام المحدثين في علوم الحديث. د ك. 15 فبراير، 2015م. "من صور الشيخ محمد السماحي" الشَّيخ مُحمد مُحمد السَّماحي من أعلام المحدثين في علوم الحديث. http://sheikhalsamahi.blogspot.my/ .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

عُيِّن مديرًا بمدرسة "رأس علي القرآنية"، وكذلك أسندت إليه الخطابة بمسجد أبي شحمة بمصراتة المدينة، وبقي فيه خطيباً مدة أربع عشرة سنة، ثم انتقل منه إلى مسجد قريته "رأس علي" إمامًا وخطيبًا، واتصل عمله فيه بهاتين المهمّتين من سنة 1987م إلى سنة 2005م.

وكان أثناء عمله مثالاً للجد والبذل، وحسن العطاء، ناقدًا للخرافات، والخزعبلات، والترهات، سواءً ما ألصق وأنيط بالتفسير، أو شروح الأحاديث، أو ما لابَسَ المجتمع من ذلك كله، وكان إبّان الفترة الخطابية، والإمامية مدرسًا بـ"معهد القويري الديني"، وبالثانوية الاجتماعية يؤدي رسالته التعليمية والتربوية التوجيهية لطلابه إلى أن أكمل الدين لهلوا عنه، وأفادوا منه، وترك في نفوسهم غِراسًا طيّبًا يزهر ويثمر كلَّ حينٍ[92].

المبحث الثاني: شيوخه وآثاره العلمية

المطلب الأول: شيوخه

تلقى الشيخ أبو مزيريق العلم عن العديد من العلماء منهم:

1- الشيخ الطيب العربي المسلاتي، كان يحضر دروسه بزاوية الإمام أحمد زروق، في تفسير الجلالين بحاشية الصاوي، والجَمَل.

(92) هذه الترجمة كاملة نقلت من مقدمة الناشر لتفسير إرشاد الحيران جـ1، ص 11: 27. وكذلك استعان الباحث ببعض ما كتب عن المفسر من الانترنت من عدة منتديات منها: أبو الصادق. 23 محرم، 1431هـ/09-01-2010 م. " صدور أول تفسير ليبي متكامل للقرآن الكريم." الألوكة. رابط: http://majles.alukah.net/t48342/ ، وحافظ مصطفى ابراهيم. 17- 02- 2011 هـ. "ترجمة العلامة أحمد أبو مزيريق المصراتي رحمه الله". منتدى إجازات العلوم الشرعية والاثبات. http://www.esnady.com/vb/showthread.php?582، وعبير الأحمري. 19/ 08/ 1432 هـ. "إصدار التفسير الليبي للقرآن المجيد (*إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*) للشيخ أحمد عبد السلام أبو مزيريق" ملتقى أهل التفسير. رابط: http://vb.tafsir.net/tafsir18421/#.Vnz2tVn76Xd.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

2- الشيخ العلامة محمد حسن بن عبد الملك [93]، وهو من علماء الأزهر المتفوقين، سمع منه أحمد أبو مزيريق شرحه لمتن العاصمية في الأحكام، والسُّلَم في المنطق، وفي البلاغة: السمرقندية، والجوهر المكنون.

3- الشيخ محمد علي السهولي العالم الفقيه الورع الحكيم، تلقى عنه العلم من سنة 1945م إلى سنة 1950م؛ حيث أخذ عليه جملة من الكتب الشرعية والعربية، فمن الكتب الشرعية التي تلقّاها عليه، وهي كلها في الفقه المالكي حاشية الصفتي على العشماوية، وابن حمدون، والرسالة، وأقرب المسالك، وهي كتب شهيرة في الفقه المالكي، ودرس عليه أيضاً بعض كتب اللغة العربية قطر الندى، والعشماوي، والشذور.

4- الشيخ الصالح الجليل مفتاح الميدي، في الفترة الواقعة بين سنة 1948 – 1950م.

5- الشيخ عبد الحميد شاهين من شيوخ الأزهر الأجلاء الفضلاء.

(93) هو الشيخ محمد بن الحاج بن حسن بن عبد الملك، ولد في مدينة مصراتة سنة 1288 هـ، يعد أحد علماء ليبيا المعاصرين، بدأ طلبه للعلم في زاوية الزروق بمدينة مصراته على يد الشيخ رمضان أبي تركية، جالسه ثلاث سنوات ثم مرض مرضاً شديداً، شفي من ذلك المرض سوى رجليه فقد أصيبتا بعجز وشلل، لم يستطع القيام عليهما، وهذا المرض لم يقعده عن طلب العلم كما أقعده عن النهوض، مكث في الزاوية يدرس الكتب مدة ثلاث سنوات ثم شفاه الله من ذلك المرض والعجز، ورجع والتحق بشيخه وعثمان وبرز على أقرانه حتى استعانوا به فجعل لهم درساً يقرئهم فيه بعض الكتب، ثم انتقل لمصر للدراسة بالأزهر الشريف التقى هناك بكبار العلماء كالشيخ أحمد الرفاعي الذي أخذ عنه وتعلم على يديه، وبلغ في العلم والاجتهاد مبلغاً حتى قال فيه شيخه الرفاعي: "أتانا فتى من المغرب يقال له محمد حسن عبد الملك قد بلغ في العلم في تسعة أشهر ما يبلغه المجدون في تسع سنوات" توفي رحمه الله سنة 1374 هـ، تتلمذ على يديه الشيخ أبي مزيريق عندما كان صغيراً. أبو عجيلة، مصطفى عبد الرحيم. 1435هـ 2014م. *الشيخ أحمد زروق جهوده العلمية وآراؤه الإصلاحية في التصوف والاجتماع*. مصراته: مكتبة ابن نصر. ص 307.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

6- الشيخ الأستاذ الدكتور محمد السَّماحي المصريّ الأزهريّ،[94] وقد أثر الشيخ السماحي في شخصية أبي مزيريق في التفسير، التي امتاز بها تفسيره إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، والتي تمثلت في خلو الكتاب من القصص والروايات الضعيفة التي جاءت عن أهل الكتاب، واعتمد عليها بعض المفسرين ونقلوها في كتبهم، وقد قال أبو مزيريق عن شيخه: "أنه كان يمتاز بإشراقة الفكرة ورفض الخرافة ورفض الدجل في التفسير، وكان يرفض الأحاديث الضعيفة، وله دقة خاصة في توجيه الأحاديث النبوية الشريفة"[95].

المطلب التاسع: آثاره العلمية [96]:

ترك الشيخ أبو مزيريق كثيراً من الكتب لعل أجلها وأعظمها تفسيره هذا محل الدراسة، وجميع الكتب الآتي ذكرها لم تطبع حتى كتابة هذه الكلمات، سوى كتابه التفسير "إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن" وكتاب "كشف المغطى من حقائق الموطأ"، سيأتي الحديث عنهما في هذا المطلب.

---

(94) الشيخ محمد محمد حسن السماحي، ولد في الدقهلية في شهر مارس عام 1907 م / 1325 هـ في محافظة كفر الشيخ برج البرلس في قرية شوري، درس بالأزهر الشريف وتخرج من كلية الشريعة في بداية إنشائها ثم نال العالمية بدرجة أستاذ من كلية أصول الدين في قسم التفسير والحديث في عام 1943 م / 1362 هـ، وعين مدرساً بقسم التفسير والحديث بالكلية، وفي سنة 1965م انتقل للتدريس بجامعة السيد محمد بن عليّ السنوس الإسلامية في ليبيا، بقي إعتاد إليها سنة 1968م، وفي نفس العام الذي تخرج فيه الشيخ أبو مزيريق، وعندما عاد الشيخ السماحي غلى مصر عُين رئيساً لقسم الحديث بكلية أصول الدين، ثم دُعي للتدريس بكلية الشريعة بمكة المكرمة في جامعة الملك عبدالعزيز في الفترة من: 1971م إلى 1972 م، ثم أحيل على التقاعد في الخامسة والستين من عمره ولكنه واصل العطاء، توفي رحمه الله عن عمر يناهز السابعة والسبعين بعد صراع مع المرض في عام 1984م تاركاً إرثاً غزيراً من العلم في قلوب طلابه ومريديه. نقلاً عن: د ك. 15 فبراير، 2015م. "من صور الشيخ محمد السماحي" الشَّيخ مُحمد مُحمد السَّماحي من أعلام المحدثين في علوم الحديث. http://sheikhalsamahi.blogspot.my/

(95) د ك. 15 فبراير، 2015م. "من صور الشيخ محمد السماحي" الشَّيخ مُحمد مُحمد السَّماحي من أعلام المحدثين في علوم الحديث. http://sheikhalsamahi.blogspot.my/

(96) ذكر هذه الكتب ناشر كتاب *"إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن"* في المقدمة، مع تقديم وصف لبعض منها، ومع أن الباحث حاول الحصول على مزيد من المعلومات حول هذه الكتب، إلا أنه وفق في بعض منها فقط، والبقية لا زال البحث جارياً حولها، وقد تواصل الباحث مع الأستاذ محمد أحمد عبد السلام ابن المؤلف رحمه الله وأفاده بأن هذه الكتب لم تطبع بعد، فلم يطبع منها سوى كتاب التفسير وكتاب كشف المغطى من حقائق *الموطأ*. أبو مزيريق، محمد أحمد عبد السلام. (رسالة إلى الباحث). 17 مايو 2016 م.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أولاً- إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، وهو موضوع هذا البحث، وهذا الكتاب هو تفسير

لكتاب الله تعالى يقع في اثني عشر مجلداً، مكث في تأليفه نحواً من ثلاثين عاماً، ولم يخرج تفسير لعالم ليبي منذ دهر بعيد فقد جاء بعد فترة ركود في المصنفات، لأسباب عديدة لعل أبرزها عدم استقرار البلاد لفترة طويلة رزحت تحت الاحتلال الذي طمس معالمها وضيع لها تراثها، فأقدم تفسير وصل إلينا قبل الشيخ أبي مزيريق تفسير "رياض الأزهار وكنز الأسرار" للشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي (ت 963هـ) فقد حقق كتاب رياض الأزهر في مصر منذ سنوات مضت لكن لم يطبع بعد، وهو كذلك مخطوطة في تفسيرين كبيرة بلغت نحو أربعة قرون، جاء تفسير "إرشاد الحيران" شاملا لمباحث التفسير، من تفسير لمعاني الكلمات والإعراب، ومبحثاً خصصه للبلاغة يليه مبحث التوجيهات والأحكام.

أ- **الوصف العام للكتاب** (97)

لكل مؤلف طريقة يسلكها في ترتيب كتابه وتناول أبوابه ومباحثه، وكذلك اختار الشيخ أبي مزيريق طريقة في تفسيره والتزم بها في تفسيره كله، يمكن أن نلخصها في الآتي:

(1) إثبات النص القرآني في كل موضوع مستقل، ووضع عنوان مناسب.

(2) مبحث المفردات اللغوية.

(3) مبحث الإعراب، التزم بالمشهور من الإعراب دون تتبع للخلافات والآراء المتشعبة في الإعراب.

(4) مبحث الأسلوب البلاغي.

---

(97) هذا الوصف باختصار لأن الباحث عرف بالكتاب في صفحة ص 144 وما بعدها، وقد صدر هذا التفسير في 2011م عن دار المدار الإسلامي ببيروت في اثني عشر مجلداً بلغ عدد صفحات كل مجلد (500) صفحة تقريباً.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

(5) خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام.

والتزم بهذه الطريقة في تفسيره كله.

ب- مميزاته

امتاز تفسير "إرشاد الحيران " بعدة ميزات لعل من أبرزها:

1-حسن التنظيم والإخراج فقد سار فيه مؤلفه على نفس الخطة من بدايته إلى منتهاه.

2-خلوه من الإسرائيليات والموضوعات التي قل ما يخلو منها كتاب تفسير، فقد ابتعد عنها وحذر منها واهتم بالغرض الذي من أجله قص الله لنا ما أراده الله منها بضرب المثل والعبرة للناس، فتتبع الدقائق في القصص والتفاصيل التي تطرق إليها ولو كانت مقصودة ما أهملها النص القرآني.

3-الوضوح وعدم الغموض والبعد وعن المسائل الخلافية وكثرة الاحتمالات، فقد قال في مقدمته: "توخيت الوضوح والتوضيح، وابتعدت عن الإشارة والتلميح" ففي مبحث معاني المفردات لم يتوسع ويطيل كثيراً في تتبع المفردة والبحث لها عن المعاني، بل كان جاء بمعنى وسط، وكذلك الإعراب أخذ بالوجه المشهور دون تتبع للخلافات، واهتم في الدراسة بإظهار جمال النص القرآني، ثم يخرج من كل هذا بخلاصة للمعنى العام والأحكام، فجاء تفسيره بأسلوب واضح وعبارة سليمة غير معقدة يسهل على الناس فهمها.

ثانياً- كشف المغطى من حقائق الموطأ، عرف فيه بالموطأ ورواية يحيى بن يحيى الليثي، وتحدث فيه عن بعض المسائل الفقهية على مذهب الإمام مالك –رحمه الله–، وكذلك أورد فيه بعض مسائل علم

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الحديث؛ فقد تكلم عن الوضع وأسبابه، طبعته دار المنار للطباعة والنشر، مصراته الطبعة الأولى، 2007 م. في كتيب صغير الحجم في 120 صفحة.

ثالثاً- شرح منظومة الفطيسي في الفقه المالكي، سماه المؤلف بالدروس الأساسية في شرح المنظومة الفطيسية، تناول شرحها باختصار فجاء شرحه في 335 صفحة والكتاب تحت الطبع.

رابعاً- كشف الغطاء عما وقع في المآتم من أخطاء، لم يستطع الباحث الحصول على معلومات حوله.

خامساً- اقتباس الشعر الحكيم من آي الذكر العظيم، هذا الكتاب رسالة صغيرة الحجم، تناول فيها ثمانية بحور من أبحر الشعر، وهي الأكثر والأشهر في الشعر العربي قديماً وحديثاً.

سادساً- مختارات خالدة مستمدة من تاريخ الإسلام، جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

سابعاً- المنتخب من مختار الحديث المرتب من كتاب لسان العرب، حوى هذا الكتاب ثلاثمائة حديث، شرحها شرحاً متوسطاً، ضمنها بعض النصائح والإرشادات كطريقته في التفسير.

المبحث الثالث: الحالة السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية في ليبيا

إن دراسة العصر الذي عاش فيه المفسر كفيلة بأن تظهر جوانب من شخصيته، لأن كل إنسان عاش فترة من الزمن لابد أن تؤثر فيه، ويتبين من خلالها معرفة الجهد الذي بذله في سبيل التعليم والتأليف، خاصة وأن جزءاً من تلك الفترة كانت فيها معانة على البلد وشعبها جراء الاحتلال الإيطالي، وقد تناول الباحث هنا الحالة السياسية والاقتصادية والعلمية في ليبيا في الفترة التي عاشها أبو مزيريق.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المطلب الأول: الحالة السياسية والاقتصادية في ليبيا[98]

يهتم الباحث بدراسة الحالة السياسية في ليبيا في فترة حياة المؤلف، لِيُبين مدى تأثره بالأحداث التي مرت عليه، فقد عاصر المؤلف مرحلتين هامتين في تاريخ ليبيا الحديث؛ ألا وهما حقبة الاحتلال الإيطالي لليبيا من سنة 1911 م، إلى 1943 م، وبعد خسارة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية، وقعت ليبيا تحت وصاية بريطانيا وفرنسا، وبقيت على هذا الحال حتى نالت الاستقلال في 24 ديسمبر 1951 م. وبعد ذلك عاصر فترة استقلال ليبيا، فقد ولد وعاش بداية حياته زمن الاحتلال الإيطالي لليبيا، وفي هذه الفترة عانى الشعب الليبي ويلات الحرب والقتل والتشريد على يد المحتلين، وهذه الفترة لم تكن فترة استقرار؛ وإنما حرب ومقاومة من الشعب الذي لم يرض بالاحتلال.

قبل سنة 1911 م كانت ليبيا تحت الحكم العثماني، الذي لم يكن يهتم كثيراً بأحوال الناس وظروفهم المعيشية، فقد عانت ليبيا في تلك الفترة إهمالاً كبير من جانب الولاة العثمانيين، يصفها المؤرخون لتلك الحقبة بأنها كانت خالية من كل أسباب الفقه والعمران، فلا يوجد بها طرق سوى طرق القوافل القديمة ولا مواصلات سوى الجمال، والتعليم معدوم، والناحية الاقتصادية ليست بأفضل حال فلا يوجد سوى بعض الزراعة القائمة على الأمطار، وبعض الأشجار كالنخيل والزيتون، أما من الناحية

---

(98) هذه لمحة مختصرة جداً عن الحالة السياسية والاقتصادية في ليبيا في الفترة التي عاشها المفسر -رحمه الله-، أراد بها الباحث بيان الظروف التي أحاطت بالمفسر عند بداية تحصيله العلمي وكذلك عند تأليفه لكتبه. ولمزيد التعمق في الحالة السياسية لليبيا في تلك الحقبة يمكن الرجوع لبعض المراجع منها: الزاوي، الطاهر أحمد. 1984 م. *جهاد الأبطال في طرابلس الغرب*. لندن: دارف المحدودة. وكيلاني، محمد سيد. 1416هـ- 1996 م. *الغزو الإيطالي على ليبيا ما بين 1911 – 1917 م*. القاهرة: دار الفرجاني. وحميدة، علي عبد اللطيف. 1998 م. *المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا 1830-1932م*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. والتليسي، خليفة محمد. 1983 م. *معجم معارك الجهاد في ليبيا* 1911 – 1931 م. طرابلس: الدر العربية للكتاب. المقريف، محمد يوسف. 2006 م. *ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي*. القاهرة: مكتبة وهبة. وابن حليم، مصطفى أحمد. *صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي*. القاهرة: وكالة الأهرام للتوزيع مطابع الأهرام التجارية.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المدارس، والمطبعة [101].

نتيجة لإهمال الدولة العثمانية للقطر الليبي وتقصيرها في الدفاع عنه، وكذلك أطماع إيطاليا في ضم ليبيا لها، شنت الحرب على ليبيا في أكتوبر 1911 م، انتهت هذه الحملة باحتلال ليبيا وسقوطها في يد الإيطاليين، وتخلت الدولة العثمانية عن الشعب الليبي وتركته يواجه مصيره أمام محتل يملك كل وسائل القوة، وبالمقابل الشعب أعزل إلا من بعض القوة التي لا يمكن مقارنتها بما عند العدو في ذلك الوقت، لكن الشعب تسلح بالإيمان بالله تعالى، وبقي الشعب يخوض معارك المقاومة ضد ذلك العدو، وكانت تلك المعارك شرسة وضارية، امتدت المعارك من 1911 م حتى 1931 م، فقد بلغت المقاومة للعدو عشرين عاماً، فقدت فيها البلاد خيرة رجالها، وأذاقت العدو درساً في الجهاد والنضال والكفاح، فقد استشهد من المجاهدين الليبيين نحو سبعمائة وخمسين ألف مقاتل، يمثل هذا العدد نصف سكان ليبيا في ذلك الوقت، في ملحمة تاريخية تشهد لها الأمم في البذل والفداء للدين والوطن، وفقد المعتدي في تلك الحرب مائتان وخمسين ألف جندي إيطالي بين قتيل ومفقود، وخسائر مادية بلغت أربعة عشر مليار ليرة نفقات تلك الحرب اللعينة[102].

(101) حميدة، علي عبد اللطيف. 1998 م. *المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا 1830-1932م*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الثانية. ص 69.

(102) الزاوي، الطاهر أحمد. 1984 م. *جهاد الأبطال في طرابلس الغرب*. ص 21. وكيلاني، محمد سيد. 1416هـ- 1996 م. *الغزو الإيطالي على ليبيا ما بين 1911 – 1917 م*. ص 16. والتليسي، خليفة محمد. 1983 م. *معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911 – 1931 م*. طرابلس: الدر العربية للكتاب. ص 15.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

كانت هذه إشارة باختصار إلى حقبة زمنية عاشها المؤلف رحمه الله ولمزيد من التفصيل حول تلك الأحداث يمكن مراجعة المصادر التاريخية التي تعرضت لتلك الفترة[103].

وشملت هذه الحقبة من تاريخ ليبيا فترة ولادة الشيخ ونشأة الشيخ أبي مزيريق، حيث ولد سنة 1927م، وهي كما سبق بيانه ونبه عليه المؤرخون لتلك الحقبة، فقد كانت سنين عجاف قاسى فيها سكان ليبيا الأمرين الجوع والخوف، وإذا فقد الأمن والغذاء فلا استقرار ولا حياة هنية، وهذه وسائل العيش والاستقرار مصداقاً لقوله ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"[104]، وقد وصف الطاهر الزاوي[105]، وضع البلاد ابان الاحتلال وقبله بأنها لا يوجد بها مواصلات سوى التنقل البدائي على الجمال، وطرق قديمة لها مئات السنين، وأن البلاد حتى سنة 1945م لم تعرف قاضياً قانونياً ولا محامياً حقوقياً، ولا طبيباً جامعياً، ولا مهندساً معمارياً، فمن هذا يمكن وصف الحالة السيئة والاقتصادية السائدة في تلك الفترة بالمتردية والسيئة التي لم تمر على البلاد مثلها في هذا العصر.

---

(103) الزاوي، الطاهر أحمد. 1984 م. *جهاد الأبطال في طرابلس الغرب*. الزاوي، محمد ط. 1416هـ- 1996 م. *الغزو الإيطالي على ليبيا ما بين 1911 – 1917 م*. والتليسي، خليفة. 1983 م. *معجم معالم الجهاد في ليبيا 1911 – 1931 م*. طرابلس: الدر العربية للكتاب. وعلي عبد اللطيف حميدة. 1998 م. *مجتمع الدولة والاقتصاد في ليبيا*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. وغيرها كثير.

(104) القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة. 1430 هـ - 2009 م. *سنن ابن ماجه*. المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله. د م: دار الرسالة العالمية. الزهد. باب القناعة. حديث رقم: 4141. جـ 5. ص 253. وحكم عليه بأنه حسن بمجموع شواهده. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. 1409 – 1989م. الأدب المفرد. المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار البشائر الإسلامية. الطبعة: الثالثة. باب من أصبح آمناً في سربه. حديث رقم: 300. ص 112. وحسنه الألباني. والترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة. 1395 هـ-1975 م. *سنن الترمذي*. (تحقيق) أحمد محمد شاكر، وآخرون. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. حديث رقم: 2346. جـ 4. ص 574. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية. وحيزت: جمعت.

(105) الزاوي، الطاهر. *جهاد الأبطال في طرابلس الغرب*. ص 30.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وفي هذا الوضع السيئ والظروف الصعبة، نشأ الشيخ أبو مزيريق وتربى على طلب العلم منذ صباه فقد حفظ القرآن الكريم وعمره يقرب من الثالثة عشرة، وفي تلك الحقبة المريرة –فترة الاحتلال– تولى الإمامة والخطابة وتعليم القرآن بجامع المغاربة بعد أن رشحه شيخه ومعلمه الشيخ علي المنتصر لهذه المهمة، في سنة 1950م، أي قبيل استقلال ليبيا سنة 1951 م[106].

أما الفترة التي عاشها المؤلف بعد الاستقلال فكانت أفضل من الفترة الأولى، حيث استقلت ليبيا دولة موحدة في 24 ديسمبر 1951م[107]، وهذا الاستقلال السياسي مهَّد للدولة أسباب استثمار ثرواتها، والهاجس الكبير بعد الاستقلال هو معالجة الفقر والحاجة، التي خرجت بها الدولة من الاحتلال، فكانت بعد الاستقلال من الدول الفقيرة، ومن أهم أسباب الغنى والمورد الرئيس لكثير من الدول هو البترول[108] –الذهب الأسود– وعامل مهم لكل اقتصاد، ولا يمكن اهمال هذا العامل المهم في دراسة الحالة الاقتصادية في ليبيا، فليبيا قبل اكتشاف البترول كانت من الدول الفقيرة، وقع فيها الشعب بين مطرقة الاحتلال وسندان الفقر، وبعد استقلال ليبيا كانت هناك محاولات من جانب الأمم المتحدة للتنقيب عن الثروات والمواد الطبيعية ولكن نتائج ذلك التنقيب لم تكن مشجعة، فكان احتمال الحصول على البترول ضعيفاً جداً في ليبيا بناء على تلك النتائج[109].

---

(106) الزاوي، الطاهر. *جهاد الأبطال في طرابلس الغرب*. ص 19. بركات، أسامة الدسوقي. 2000 م. *الجهود العلمية في ليبيا ودورهم من 1911 حتى 1951*. (رسالة ماجستير). جامعة طنطا. كلية الآداب. ص 370.

(107) المقريف، محمد يوسف. 2006 م. *ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي*. القاهرة: مكتبة وهبة. ط 4. ج 2. ص 62.

(108) بتْرول أو بِتْرول مفرد: زيت سائل قابل للاشتعال، يُستخدَم في الوقود والإضاءة وغيرهما، يُستخرَج مِن باطن الأرض ومن مشتقاته النَّفط، والبترول عصب الصناعات الحديثة. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون. 1429 هـ - 2008 م. *معجم اللغة العربية المعاصرة* القاهرة: عالم الكتب. ج 1. ص 157.

(109) ابن حليم، مصطفى أحمد. *صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي*. القاهرة: وكالة الأهرام للتوزيع مطابع الأهرام التجارية. ص 310.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

كانت بداية التنقيب[110] عن البترول سنة 1943 م على يد شركات بريطانية، وبعد استقلال ليبيا 1951 م؛ حاولت الحكومة اقناع شركات البترول بالتنقيب في ليبيا، والمشكلة التي واجهت الحكومة آنذاك هي اقناع الشركات بالتنقيب في ليبيا، مع أن فرصة الحصول على البترول لم تكن قوية، لأن التنقيب في سنة 1946 م لم يأت بنتائج إيجابية، حتى إن رئيس الوزراء الليبي في ذلك الوقت مصطفى بن حليم، قام بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية سنة 1954 م؛ وسبب تلك الزيارة هو محاولة اقناع الشركات الأمريكية للتنقيب عن البترول في ليبيا، وفي أثناء تلك الزيارة جرى بينه وبين أحد رجال الصحافة الأمريكية حوار، سأل ذلك الأمريكي رئيس الوزراء الليبي سؤالاً صريحاً وخطيراً في ذلك الوقت؛ قال له: أنت هنا تحاول اقناع الشركات الأمريكية للتنقيب عن البترول في ليبيا، وهذا يكلف الملايين من الدولارات، فهل تملك أدلة على وجود البترول في ليبيا، فسكت رئيس الوزراء الليبي قليلاً ثم قال له: هل زرت المملكة العربية السعودية، فأجابه نعم، فقال له لا شك أنك رأيت هناك صحراء وجمال وبدو ورمال.. وبترول، كذلك عندنا في ليبيا صحراء وجمال وبدو ورمال.. وبترول كذلك، فضحك الحاضرون ثم قال لهم هذا هو الدليل الوحيد الذي أملكه حتى الآن، من هنا يتضح لنا صعوبة الوضع الاقتصادي الذي تمر به ليبيا في ذلك الوقت.[111]

اتخذت الحكومة كل السبل التي تمهد للتنقيب عن البترول فسارعت في إعداد قانون ينظم التنقيب عن البترول واستخراجه، فصدر ذلك القانون سنة 1955 م، ونشر في الجريدة الرسمية بتاريخ

(110) التَّنقيب عن البترول: البحث عن الأماكن التي يمكن أن يتدفق منها البترول. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون. 1429 هـ - 2008 م. *معجم اللغة العربية المعاصرة* القاهرة: عالم الكتب. ج 1. ص 157.

(111) ابن حليم، مصطفى أحمد. *صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي*. القاهرة: وكالة الأهرام للتوزيع مطابع الأهرام التجارية. ص 323

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

19 / 6 / 1955 م، وفي سنة 1958 م حفر أول بئر بترول في ليبيا، وتوالت بعد ذلك الشركات العاملة في مجال التنقيب بحفر الآبار في ليبيا، وبدأت الحكومة في تصديره.[112]

ومن هنا بدأت النقلة الاقتصادية لليبيا، وازدهرت صناعة البترول في البلاد بوتيرة عالية، حيث أصبحت ليبيا رابع دولة مصدرة للنفط سنة 1969 م، فانتقلت البلاد من الفقر العوز، إلى دولة يبشر مستقبلها القريب بأنها ستكون من أغنى الدول في العالم، بلغ دخل ليبيا من البترول سنة 1980 م 21 مليار دولار.[113]

وبعد هذا العرض المختصر لأهم وأبرز ملامح الحياة السياسية والاقتصادية التي عاشها المؤلف، يتبين لنا أن المؤلف عاش في ظل بلد مستقر سياسياً، مزدهر اقتصادياً، مما ساعده على التأليف والكتابة، فقد بين الباحث سابقاً أن المؤلف في بداية نشأته إبان الاحتلال، جاهد وكافح في مجال العلم مع ضيق العيش وضنكه، فلم يقعده الفقر وانعدام الأمن في تلك الحقبة المريرة، على حفظ القرآن الكريم وطلب العلم، فعندما استقلت البلاد سنة 1951 م، وهيأ الله لها أسباب الحياة الكريمة المزدهرة، فقد سنحت له الفرصة في مواصلة طلب العلم، فاغتنم الفرصة وأقبل على تعليمه وألف كتبه ومن أعظمها كتاب إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، الذي ضمنه علمه الذي تعلمه وخبرته التي عاشها، ولعل من أسباب نجاحه في حياته العلمية؛ هو بعده عن السياسة واشتغاله بالعلم، فالبعد عن السياسة يوفر له الجو المناسب للعلم طلباً وتعليماً وتأليفاً، فلم تكن له –رحمه الله– مواقف سياسية في المرحلة التي عاشها في عهد المملكة أو حكم القذافي، سوى معارضته لبعض الأشياء التي كان يقوم بها النظام آنذاك، مثل معارضته للتأريخ بوفاة الرسول ﷺ فيرى أن الأولى التأريخ بهجرة المصطفى ﷺ كما هو حال أغلب دول العالم الإسلامي في

(112) ابن حليم، مصطفى أحمد. *صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي*. ص 337.

(113) المصدر السابق. ص 338.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

استخدام التأريخ الهجري. فكما سبق لم تكن للمؤلف مواقف سياسية معارضة أو مؤيدة بل وجه النقد صريحاً في كتابه لمن يتصدون للدعوة وهم يروجون لفكر سياسي معين، وتوجد بعض الإشارات في تفسيره مثل وصفه لمن يترك مبدأ الشورى بالمستبد[114]، وعلى كل حال فإن المفسر نأى بنفسه وابتعد عن الخوض في السياسة واشتغل بالعلم، فأفاد وأجاد.

المطلب الثاني: الحالة العلمية والثقافية في ليبيا

ليس من نافلة القول أن نقول إن لليبيا نشاطاً علمياً وعلماء في علوم الشريعة، فقد بدأ هذا النشاط مع الفتح الإسلامي لليبيا، وازدهرت الحركة العلمية في ليبيا منذ القرن الثاني الهجري، ومن الأسباب التي مكنت ليبيا وهيأت لها الظروف الملائمة للعلم الشرعي؛ هو موقعها الجغرافي فهي تقع وسط بين المشرق الإسلامي والمغرب، والأندلس، فمرت بها جيوش الفاتحين التي لا تخلوا من علماء الصحابة الذين سلكوا مسلك الجهاد في سبيل الله، كذلك بسبب الرحلات العلمية بين الشرق والغرب تمر بها، وهذا ما جعل لها قدم سبق في العلوم الشرعية والإسلامية، ومن أوائل من من ليبيا من العلماء، الامام سحنون (240 هـ) في رحلته لإفريقية نزل بإجدابية، فقد ذكر [illegible] الفرضان أنه [illegible] سحنون يقول: سمع مني العلم أهل إجدابية سنة إحدى وتسعين ومائة، ثم انتقل بعد ذلك لطرابلس ونزل بها فترة من الزمن، وقد كان سحنون شديد الإعجاب بطلابه فخوراً بهم، كثيراً ما يثني عليهم، فقد حدث أبو العرب قال: أخبرني

(114) أبو مزيريق، *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج. 3. ص 165، و ج. 2. ص 306. وكذلك مراسلة مع ابن المؤلف "محمد أحمد عبد السلام أبو مزيريق" (رسالة إلى الكاتب) بتاريخ 7 إبريل 2016 م.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

جبلة ابن حمود الصدفي، قال: سمعت سحنون بن سعيد يقول: «كان بإفريقية[115] رجال عدول بعضهم بالقيروان وتونس وطرابلس.. » وذكر من فضلهم، وما رأى منهم فقال: «لو قرنوا إلى مالك بن دينار لساووه»[116] وسئل سحنون لما رجع لإفريقية عن الصالحين فقال: رأيت رجالا ما الفضيل ابن عياض أفضل منهم[117].

المطلب الثالث: عوامل ازدهار الحركة العلمية في ليبيا

كانت في ليبيا حركة علمية كبيرة، خاصة في العلوم الشرعية، في مرحلة مبكرة أي بعد الفتح الإسلامي[118] بقليل، ويشير الباحث هنا إلى بعض العوامل التي أدت إلى ازدهار الحركة العلمية في ليبيا، ومن المعروف أن لكل نهضة أسباب وعوامل تساعدها فكذلك من أسباب وعوامل النهضة العلمية في ليبيا:

1-الموقع الجغرافي لليبيا حيث تقع في الخط الفاصل بين المشرق والمغرب الإسلاميين، وهي أولى بلدان المغرب العربي، حيث تحدها من الشرق مصر وهي من بلدان المشرق العربي الإسلامي، وهي الطريق بين الشرق والغرب، فقد ارتحل عبر أراضيها العلماء والأدباء من المغرب والأندلس، متجهين للمشرق طلباً

---

(115) حدود إفريقية شرقاً من طرابلس، وغرباً حتى مدينة بجاية بالجزائر، وشمالاً بحراً وقيل حدّها البحر ومنها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان، وهي جبال ورمال عظيمة ممتدة من الشرق إلى الغرب، وعاصمة هذا الإقليم مدينة القيروان. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. 1995 م. *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر. الطبعة: الثانية. جـ 1. ص 228. وحواله، يوسف بن أحمد. 1424 هـ- 2000 م. *الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري*. مكة المكرمة: جامعة أم القرى. جـ 1. ص 46.

(116) عمر، أحمد مختار. 1391 هـ -1971 م. *النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الاسلامي حتى بداية العصر التركي*. ليبيا: منشورات الجامعة الليبية-كلية التربية. ص 126.

(117) غلبون، أبو عبد الله محمد بن خليل. 1349 هـ. *تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس ومن كان بها من الأخيار*. القاهرة: المطبعة السلفية. ص 170.

(118) فتحت ليبيا سنة 22 هجرية على يد عمرو بن العاص. غلبون، أبو عبد الله محمد بن خليل. *تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس ومن كان بها من الأخيار*. ص "يا".

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

للعلم، فقد كان المشرق آنذاك محط آمال العلماء، لما كان -ولا زال- يحظى به من مكانة ونهضة علمية كبرى، وكذلك كانت ليبيا ممر أهل المشرق القاصدين المغرب والأندلس، لأسباب ومصالح عديدة كحدوث بعض الأزمات والاضطرابات، في بعض الأقطار الإسلامية، كما حدث مع الإمام والمحدث أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي، الكوفي (ت182 هـ)، فقد ارتحل قاصداً المغرب الإسلامي وبلغ به المقام واستقر في ليبيا، ذكر الذهبي معللاً سبب ارتحاله؛ أنه فر إلى المغرب لمّا ظهر الامتحان بخلق القرآن فامتحنها، وولد له بها، والعجلي من كبار أهل العلم في زمانه، اثنى عليه كثير من أهل العلم، سئل عنه الدوري فقال: "ذلك كنا نعده مثل أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين"، وقال عنه أبو الحسن زياد بن عبد الرحمن: "سمعت مشيختنا بهذا المغرب يقولون لم يكن لابي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي ببلادنا مشبه ولا نظير في زمانه ومعرفته بالحديث واتقانه له، وزهده وورعه"، ولا شك أن أهل طرابلس استفادوا منه وتعلموا كثيراً عليه فقد عاش بينهم إلى أن توفي رحمه الله في طرابلس سنة إحدى وستين ومائتين، وقبره على الساحل بجانبه قبر ابنه صالح -وهو من أهل العلم يروي عن أبيه-، الذي توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة[119].

2-وكذلك وقوعها في طريق الحج، فقد كانت ممر ومحط الحجاج القادمين من الأندلس وباقي مدن المغرب، وفيهم كثير من مشاهير العلماء ويتخذون منها استراحة لبعض الوقت ثم يواصلون مسيرهم، مما هيأ لأهل ليبيا الاستفادة منهم لبعض الوقت[120].

---

(119) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. 1427هـ- 2006 م. *سير أعلام النبلاء*. القاهرة: دار الحديث. جـ 10. ص 142. وابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي. د ت. *بغية الطلب في تاريخ حلب*. (تحقيق) د سهيل زكار. دمشق: دار الفكر. جـ 2. ص 917.

(120) حواله، يوسف بن أحمد. 1424 هـ- 2000 م. *الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري*. جـ 1. ص 195.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

3-البعثات العلمية، تعد هذه البعثات أحد العوامل التي ساهمت في النشاط العلمي في ليبيا قديماً، وبدأت مع دخول الإسلام لليبيا، الغرض منها تثقيف المسلمين الجدد، وتعليمهم أمور دينهم، فقد بعث عمر بن عبد العزيز رحمه الله اثناء فترة خلافته عشرة من كبار التابعين لنشر الإسلام وتعليم الناس أمور دينهم، وكانت هذه البعثة في بداية القرن الثاني الهجري[121].

المطلب الرابع: المذهب الفقهي المعتمد في ليبيا

الحديث هنا في هذا المبحث عن الحالة العلمية والثقافية في ليبيا، وبالخصوص الحديث عن العلوم الإسلامية، لهذا يجرنا للحديث عن المذهب الفقهي المتبع في هذا القطر من العالم الإسلامي، وقد ذكر المؤرخون أن ليبيا كانت متقدمة في مجال الدراسات الشرعية، فمنذ دخلها الإسلام أو بعده بقليل ازدهرت العلوم الشرعية في ليبيا، بل إن علماء ليبيا كانوا يستفتون في بعض القضايا التي تقع في بلدان مجاورة لهم، وفي أحيان أخرى يستدعون لتلك المناطق للمشاركة في بعض المناظرات، وكان بعض العلماء من ليبيا يتولون بعض المناصب في البلدان المجاورة كالقضاء، وبعض المناصب الأخرى[122].

تشير المصادر التاريخية إلى أن النشاط في مجال العلوم الشرعية في ليبيا ازدهر ونشط في منتصف القرن الثاني الهجري، ويعزون الفضل في ذلك لانتشار المذهب المالكي وانتشاره في هذا القطر من العالم الإسلامي، وأن الدراسات الشرعية في المغرب الأدنى لم تجد مكانتها وتتبلور إلا على يد أعلام المذهب المالكي الذين تتلمذوا على يد الإمام مالك (ت 179 هـ) إمام دار الهجرة ومؤسس المذهب المالكي، وطريقة دخول المذهب المالكي لليبيا ثم باقي دول المغرب والأندلس؛ كانت بسبب أبناء إفريقية الذين ارتحلوا لطلب العلم في مدينة الرسول ﷺ وقابلوا الإمام مالك، وسمعوا منه وتأثروا به ومن ثم نقلوا آراءه

(121) عمر، أحمد مختار. 1391 هـ -1971 م. *النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الاسلامي حتى بداية العصر التركي*. ص 126.

(122) المصدر السابق. ص 125.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وفتاويه لبلادهم عندما رجعوا، وقد مر انتشار المذهب المالكي في إفريقية بأدوار عديدة، وكذلك تعرض لمحن كثيرة مثل دولة الأغالبة التي حكمت المنطقة ما يزيد عن مائة سنة؛ إذ امتد حكمها من سنة 184 هـ وحتى سنة 296 هـ، وامتد نفوذ هذه الدولة على تونس وكل طرابلس (ليبيا)، وكان الأمراء الأغالبة يتبعون المذهب الحنفي، ولكن استماتة علماء المذهب المالكي وإصرارهم على تدريسه والتمسك به كتب له البقاء، رغم أنه لم يكن المذهب الرسمي للدولة[123].

وعلى كل لم تكن الغلبة في ليبيا للمذهب المالكي على الإطلاق، فقد وجدت عدة مذاهب في منطقة المغرب العربي، وتنوع المذاهب وتعددها يعد من الروافد التي غذت الحركة الدينية في ليبيا، وكانت عامل من عوامل الاجتهاد والازدهار العلمي، فقد وجودت العديد من المذاهب الفقهية والكلامية وانتشرت في بلدان المغرب العربي، ومن أشهر تلك المذاهب: الخوارج، والإباضية، والمعتزلة، إلى جانب مذهب أهل السنة، وكذلك الشيعة الذين قوي نفوذهم مع قيام دولة الفاطميين، وإلى جانب هؤلاء وأولئك وجد مذهبا الإمامين مالك وأبي حنيفة، ولكل منهما منهجه الخاص به في البحث، وطريقته في الاستنباط، ولكن في عهد الشيخ أبي الربيع المذهب السائد هو المذهب المالكي، مع وجود المذهب الأباضي في بعض مناطق ليبيا[124].

وسار المؤلف على مذهب الإمام مالك، المذهب الرسمي للدولة، وفي الجامعات والمعاهد الدينية في ليبيا، وعليه يسير الخطباء والوعاظ في مساجد البلاد، واعتمد المفسر –رحمه الله– على مذهب

(123) العسيري، أحمد معمور. 1417 هـ/ 1996 م. *موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر*. السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية. ص 202. وحواله، يوسف بن أحمد. *الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري*. ج 1. ص 275.

(124) عمر، أحمد مختار. *النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الاسلامي حتى بداية العصر التركي*. ص 127.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الامام مالك في تناوله للمسائل الفقهية، ومع ذلك يشير أحياناً الى آراء المذاهب الأخرى، والأمثلة في الكتاب كثيرة نذكر منها:

في حديثه عن كيفية صلاة الخوف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[125]، قال: هذه كيفية صلاة الخوف في ميدان المعركة؛ بأن يقسم الإمام الجيش طائفتين: طائفة تقف مع الامام يصلي بها الركعة الأولى، ويقف الامام للركعة الثانية، ويقف معه المصلون غير أن الامام يبقى قائماً والمصلون خلفه يتمون الركعة الثانية بأنفسهم ويتمون ويسلمون لتمام صلاتهم، ثم يذهبون إلى صف القتال، فتأتي الطائفة الأخرى التي لم تصل فلتكبر وتدخل على صلاة الإمام ليتمم بهم غير أن الإمام ينتظر لتمام صلاته بالركعة الثانية، والمصلون خلفه يتممون صلاتهم بعد سلام الإمام مثل المسبوق في الصلاة العادية، وهذه الصفة هي التي أخذ بها الإمام مالك، وهناك صفات أُخَرُ أخذ بها بقية الأئمة.[126]

هذه هي صفة صلاة الخوف كما هي مقررة عند المالكية في كتبهم[127]، وهي الصفة المأخوذة

(125) القرآن. النساء4: 101.

(126) أبو مزيريق. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 3، ص 143.

(127) مالك بن أنس. 1994م. *المدونة*. بيروت: دار الكتب العلمية. جـ 1. ص 240.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

عن النبي ﷺ وقد ثبت أنه ﷺ صلاها في غزوة ذات الرقاع[128]، رواه البخاري في صحيحه[129].

المطلب الخامس: الحياة العلمية في عهد الشيخ أبي مزيريق

بعد أن بيّن الباحث ملامح عن الحياة العلمية والثقافية في ليبيا بصفة عامة، يشرع الآن ببيان عن الحالة العلمية في عهد الشيخ أبي مزيريق، والحقيقة أن الفترة التي عاشها الشيخ اكتنفها الكثير من الغموض، حول حقيقة النتاج العلمي في تلك الفترة من تاريخ ليبيا، حتى إن بعض الكتاب الليبيين المعاصرين استشعر هذا الواقع محاولاً إيجاد تفسير له، فبين أن تاريخ ليبيا الثقافي تعرض لكثير من التجاهل والإغفال لأسباب متعددة، لعل أبرزها طول المعاناة أصابت أهلها خلال فجر النهضة العربية وضحاها، يرجع ذلك إلى صنيع الاحتلال الإيطالي الذي تمادى في عدائه للبلاد وتراثها، ويصف هذه الحالة بأنها لم يشبهها مأساة بين الأقطار العربية سوى في الصومال، ولعل ثمة سبب آخر وهو بعض الصعوبات التي واجهت العلماء في نشر تراثهم والتعريف به[130].

وفي وسط هذا التقصير أو القصور في إبراز الحياة العلمية في ليبيا برز بعض الكتاب الذين لا يمكن إغفال جهدهم في إبراز الحياة العلمية، تمثل هذا الجهد في تعريفهم بالعلماء والترجمة لهم، وبيان مصنفاتهم، وتسليط الضوء على بعض المراكز العلمية في البلاد، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ

---

(128) كانت هذه الغزوة لتأديب الأعراب القاطنين نجد، ورجح صفي الرحمن المباركفوري وقوعها بعد خيبر، والأغلب أنها وقعت في شهر ربيع الأول سنة 7 هـ. وقد ذكر ابن كثير أقوالاً في سبب هذه التسمية: قال ابن هشام: لأنهم رقعوا فيها راياتهم، وقال شجرة هناك اسمها ذات الرقاع، وقال الواقدي: بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض، وفي حديث أبي موسى: إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدة الحر، وقيل هما غزوتان والمقام هنا يضيق لتحقيق المسألة. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. 1395 هـ - 1976 م. *السيرة النبوية*. (تحقيق): مصطفى عبد الواحد. بيروت – لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. ج 3. ص 160. وصفي الرحمن المباركفوري. د. ت. الرحيق المختوم. بيروت: دار الهلال. ص 348.

(129) البخاري. *صحيح البخاري*. كتاب المغازي. باب غزوة ذات الرقاع. ج 5. ص 113.حديث رقم (4129).

(130) الهرامة، عبد الحميد عبد الله. 1999 م. *فصول من تاريخ ليبيا الثقافي*. بيروت: أصالة للنشر والتوزيع. ص 7.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الطاهر أحمد الزاوي (ت 1986 م) [131]، وناصر الدين محمد الشريف [132]، وعلي مصطفى المصراتي [133]، وخليفة التليسي [134]، والدكتور عبد الحميد الهرامة [135].

الحياة العلمية في ليبيا في عصر الشيخ أبي مزيريق نستطيع أن نقول كانت في بدايتها، حيث كانت الدولة الحديثة عهد باستقلال عن احتلال بغيض جثم على قلبها ردحاً من الزمن، فلم تكن المدارس والجامعات وقتها البداية كانت بمراكز علمية منتشرة على امتداد ليبيا، تسمى الزوايا [136]، وكانت مراكز لتحفيظ القرآن الكريم ودراسة العلوم الشرعية، ويعود تاريخ هذه الزوايا إلى زمن بعيد، كزاوية أولاد

(131) يعد من كبار العلماء المعاصرين والمؤرخين في ليبيا عاصر فترة الاحتلال الإيطالي سنة 1911 م، ثم انتقل لمصر سنة 1911 م، للدراسة وطلب العلم، وكان له دور وطني أثناء الاحتلال [illegible] في المهجر، ألف العديد من الكتب في شتى المجالات، نذكر منها هنا ما له علاقة بتاريخ ليبيا: *المختار* [illegible] طبع في القاهرة، كما ألفه سنة 1932 م، وكتاب *جهاد الأبطال في طرابلس الغرب*، ألفه في القاهرة سنة 1950 م، وكتابه دار [illegible] في لندن، كتاب تاريخ الفتح العربي لليبيا، ايضاً ألفه في القاهرة سنة 1954 م، وكتاب *أعلام ليبيا*، طبعته دار المدار الإسلامي في لبنان، وهو فيه كثير من تراجم علماء ليبيا، حيث يعتبر هذا الكتاب من المراجع الهامة في تاريخ علماء ليبيا، وله أيضاً معجم [illegible] ألفه في طرابلس سنة 1968 م، وكتاب ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، نشرته دار الفتح للطباعة والنشر في بيروت 1970 م، وله العديد من المؤلفات الأخرى. الشريف، ناصر الدين محمد. 1430هـ - 1999م. *الجواهر الكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية*. عمان: دار البيارق. ص 414.

(132) ناصر الدين الشرف هو أحد المؤرخين المعاصرين، وهو مؤلف كتاب *الجواهر الكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية*" وقد استوعب في هذا الكتاب الكثير من تراجم العلماء [illegible] في هذا المجال، كالشيخ الطاهر الزاوي، في كتابه *أعلام ليبيا*، والاستاذ علي المصراتي، في كتابه أعلام طرابلس، والاستاذ أحمد النائب التليسي، في كتابيه *المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب*، *نفحات النسرين والريحان فيمن كان ببلدة طرابلس من الأعيان*، وكذلك العلامة ابن غلبون في كتابه التذكار فيمن ملك طرابلس ومناكان بها من الأخيار، فجاء كتابه شاملاً لكل [illegible] سبقه [illegible] متلافياً بعض أخطائهم.

(133) هو أحد أدباء ليبيا وكتابها له مساهمات عديدة وكتب في إطار [illegible] من ملامح الحياة [illegible] ليبيا، وهو مؤلف كتاب أعلام من طرابلس، وكتاب نفحات أدبية عن ليبيا، وأيضاً كتاب ابن غلبون [illegible] ليبيا.

(134) كاتب وأديب له العديد من المؤلفات عن تاريخ ليبيا، كما قام بترجمة العديد من الكتب للغة العربية عن ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، (ترجمة)، ومُعجم *سكان ليبيا*، نشرته دار الريان 1990 م، ومُعجم معارك الجهاد في [illegible] الثقافة 1972 م، والعديد من المؤلفات في الأدب والشعر.

(135) الدكتور عبد الحميد الهرامة، أحد الكتاب الليبيين المعاصرين، يعمل الآن خبير بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) وكان قبل ذلك أستاذاً محاضراً بكلية الدعوة الإسلامية، وأيضاً عضو بمجمع اللغة العربية الليبي، له بعض المؤلفات في مجال الترجمة لعلماء ليبيا وتاريخها العلمي، مثل كتاب *فصول من تاريخ ليبيا الثقافي*، نشرته دار الأصالة في بيروت، وكذلك كتاب عن شيوخ أبي عبد الله الخروبي، أحد علماء ليبيا في التفسير.

(136) إلى جانب المساجد التي يتلقى الناس فيها العم منذ بداية تأسيسها على يد النبي صلى الله عليه وسلم، فهي إلى يومنا هذا تشع بالعلم والقرآن.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

سنان [137] التي بنيت في القرن الثاني عشر الميلادي، وزاوية أولاد سهيل [138] في القرن الذي يليه، وكذلك زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر [139] في القرن السادس عشر الميلادي، وكذلك بنى الشيخ محمد بن علي السنوسي (ت 1276 هـ) مؤسس الحركة السنوسية في ليبيا، العديد من الزوايا في ليبيا، مهمتها تعليم القرآن الكريم، والعلوم الشرعية، وأول زاوية أسسها –رحمه الله– الزاوية البيضاء سنة 1842 م [140] عند دخوله ليبيا.

بدأ الشيخ طلبه للعلم في الزوايا الموجودة في مدينته، فبدأ حفظ القرآن الكريم في زاوية البي وتسمى زاوية المنصر، وكذلك دراسة العلوم الشرعية، ثم انتقل بعد ذلك لدراسة العلوم الشرعية بمسجد رأس علي، وأيضاً درس في زاوية الشيخ الزروق، حيث التقى بالعديد من الشيوخ[141].

وقد عاصر الشيخ في فترة طلبه للعلم ظهور حركة دعاة للسنة النبوية، إلا أنه لم ينتشر كثيراً ولم يكن له صيت في البلاد، فقد ذكر الدكتور عادل الزياني: أن منكري السنة في ليبيا لم يتجاوز عددهم أصابع

(137) تسمى الآن الزاوية أو الزاوية الغربية، وأصبحت مدينة كبيرة الآن، أما أولاد سنان الذين تنسب لهم الزاوية فهم عرب يرجع أصلهم إلى بني سليم وجدهم عامر بن سنان. الزاوي، الطاهر أحمد. 1388 هـ- 1968 م. *معجم بلدان ليبيا*. طرابلس: مكتبة النور. ص 150.

(138) تقع في مدينة أبي عيسى غربي مدينة الزاوية، سميت بهذا الاسم نسبة إلى رجل صالح يسمى [illegible] ويكنى بأبي عيسى، وتعرف الآن بزاوية (بوعيسى) أو (زاوية العموري)، ولازالت تحفظ القرآن الكريم، وفيها بعض الحجر تستخدم للكتابة الوافدين عليها لتلقي العلم. الزاوي، الطاهر أحمد. 1388 هـ- 1968 م. *معجم بلدان ليبيا*. طرابلس: مكتبة النور. ص 156.

(139) أسست هذه الزاوية في حياة الشيخ عبد السلام الأسمر سنة 900 هـ، وهي من أشهر زوايا ليبيا، مهمتها تحفيظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية، وهي حتى الآن عامرة بطلاب العلم الشرعي والقرآن الكريم من كل مناطق ليبيا، وتوجد بها حجرة لطلاب العلم والقرآن، ودرست بها القرآن الكريم بين سنتي 1999 م وسنة 2000 م. الزاوي، الطاهر أحمد. 1388 هـ- 1968 م. *معجم بلدان ليبيا*. طرابلس: مكتبة النور. ص 164.

(140) تقع في شرق ليبيا في الجبل الأخضر شرقي مدينة البيضاء بنحو 2 ك.م، وهي أول زاوية أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي في ليبيا، مبناها مربع الشكل فيها ثلاث وعشرون حجرة لسكنى طلاب العلم والقرآن الكريم. الزاوي، الطاهر أحمد. 1388 هـ- 1968 م. *معجم بلدان ليبيا*. طرابلس: مكتبة النور. ص 161.

(141) سبق الحديث عن شيوخه في ص 73.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

اليد، ذكر منهم محمد أحمد وريث، ووصفه بجهله بالسنة، والقاضي كمال المهدوي، حيث ألف كتاب: البيان بالقرآن (142)، أنكر فيه السنة النبوية وفيه الكثير من المغالطات(143).

كما أنه لا يوجد دليل يثبت تأثره بأفكار منكري السنة، وفي الحقيقة السبب الذي دعا الباحث للبحث حول مدى تأثر الشيخ بتلك الحركة، هو ما يثار من شبهة حول الشيخ أبي مزيريق من أنه ينكر السنة، فقد ورد عنه قوله: كتب الحديث ليست كتاب دين، وإنما كتاب الدين في الإسلام هو القرآن(144)، فلو أخذنا هذا الكلام على ظاهره فيه شبهة كبيرة، ولكن الشيخ بين في تلك المقابلة مقصوده من هذا الكلام، فقال: كتب الحديث ليست كتاب دين، وإنما كتاب الدين في الإسلام هو القرآن، والعمل بالحديث جعل العلماء له شروطاً، مثلاً عند المالكية لابد وأن يكون الحديث معمولاً به، وهذا عندهم هو الحديث الصحيح، ولا يقصد بالصحة ما ورد في كتب المصطلح؛ لأنها ظهرت متأخرة بعد القرن الرابع، وظهرت معها كثير من المصطلحات في علم الحديث، من بينها ليس ما صح سنداً يصح معنى(145)، فعند أخذ الكلام كاملاً تتضح الصورة وهو رحمه الله لم ينكر السنة؛ وإنما يرى شروطاً للعمل بها، ويمكننا أن نفهم من قوله: كتب الحديث؛ أنه يقصد كل ما ورد فيها من أحاديث وآثار؛ فهي

(142) صدرت الطبعة الأولى منه عن: الدار الجماهيرية- ليبيا، دار الأفاق الجديدة، البيضاء، 1990 م.

(143) الغرياني، عادل محمد عبد العزيز. "الجذور التاريخية لمنكري السنة". في: محمد مستقيم محمد ظريف، وآخرون. 2005 م. *Isu-Isu Semasa Pengajian Quran dan Sunnah Siri 2 utht uf]*. كوالالمبور: كلية دراسات القرآن والسنة-جامعة العلوم الإسلامية الماليزية. ص 163-165.

(144) علي رشدان. بتاريخ 22 سبتمبر 2012 م. "حوار صريح مع الشيخ العلامة أحمد أبي مزيريق". *مدونة مصطفى القعود*. رابط: http://tqaseem.blogspot.my/2012/09/blog-post_22.html

(145) المصدر السابق.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ليست على درجة واحدة من الصحة، فكما وجد الصحيح والحسن، وجد أيضاً الضعيف بل أحياناً الموضوع، هذا في جانب الثبوت، وهناك جوانب أخرى تتعلق بالعمل كالناسخ والمنسوخ، فمعنى كلامه أن الثابت قطعي الثبوت هو القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (146)، أما الحديث ففيه ما فيه، وذاك، ومما يفند هذه الشبهة ويبعدها عن المؤلف عمله في تفسيره، فهو أبلغ دلالة وتفسيراً لكلامه، وفي هذا المبحث ترجمة عملية لكلامه السابق، وبيان لموقفه من الحديث.

بعد هذا البيان يتبين أن الواقع والثابت عن الشيخ أبي مزيريق خلاف ذلك، فقد بين الباحث في الفصل الثالث من هذا البحث منهج الشيخ في العمل بالسنة، وبين أنه يأخذ بها والأمثلة أكثر من أن تحصى في تفسيره، وهذا أقوى دليل وأوضح برهان على نفي هذا القول عنه.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

(146) القرآن. الحجر. 15: 9.

الفصل الثالث: دراسة وتحليل منهجية أبي مزيريق في تصنيف إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن.

ليس من نافلة القول أن نقول إن دراسة منهجية المفسر في تفسيره من أفضل العلوم المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، فدراسة منهجية المفسر مفيدة جداً لمعرفة أي أنواع التفسير سلك المفسر، هل هو من التفسير الجائز أو الممنوع، ليكون القارئ بعد ذلك على بينة من قراءته لهذا التفسير، ويطمئن قلبه لما يجده فيه من أحكام واستنباطات وتوجيهات، ومن أهم ما يدرس في هذا الفصل منهج المفسر من حيث الأثر والرأي، وهل الرأي الذي سلكه من الرأي الجائز أم لا، وقام الباحث هنا بدراسة منهج أبي مزيريق، في التفسير بالمأثور، ومنهجه في التفسير بالرأي، ومنزلة السنة النبوية في تفسيره، كذلك دراسة مصادر المفسر والطريقة التي سلكها في تفسيره من حيث المباحث التي تناولها بالتفسير، إضافة إلى ذلك دراسة منهجه في تفسير آيات القصص القرآني وموقفه من رواية الإسرائيليات في التفسير.

المبحث الأول: منهجه في التصنيف، ومصادره، وطريقته[147] في التفسير.

ذكر المؤلف في مقدمة تفسيره أنه: تتبع المفسرين السابقين في كتبهم كابن جرير[148] (ت 310 هـ)، واللاحقين وفي مقدمتهم تفسير "التحرير والتنوير"، وما بين هذا وذاك كثير، فجمع منها ما تيسر له

(147) يقصد الباحث بالطريقة هي وصف التفسير من الناحية الشكلية، بمعنى كيفية تفسيره للآيات القرآنية، والمباحث التي تناولها في تفسيره، أي دراسة المظهر العام للكتاب من غير تعرض للتفاصيل والجزئيات، أما المنهجية فتعنى بالدراسة لتفسيره من الناحية الموضوعية، التي تشمل دراسة الطريقة التي تناولها المفسر في تفسيره، والتعرض لقضايا التفسير وأنواعه التي تعرض لها المفسر تفصيلاً.

(148) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين الإمام، صاحب التصانيف المشهورة أحد الائمة، له العديد من المؤلفات منها تفسيره المعروف، ولد سنة 224 هـ بآمل، وتوفي ببغداد سنة 310 هـ. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. 1396 هـ. *طبقات المفسرين العشرين*. (تحقيق) علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة وهبة. جـ 1. ص 95. والداوودي، محمد بن علي بن أحمد. *طبقات المفسرين*. بيروت: دار الكتب العلمية. جـ 2. ص 110.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تجميعه من مباحث لغوية، وأساليب بلاغية، وأعاريب نحوية، وأحكام وتوجيهات شرعية من واجبات ضرورية، وتحسينات تكميلية[149]، فمن هنا نستطيع أن ندرك بوضوح المنهجية التي سلكها المؤلف، فذكره لابن جرير الطبري –رحمه الله– يوضح لنا أن لجانب الرواية من تفسيره نصيب فابن جرير هو رائد التفسير بالمأثور، كذلك ذكره لابن عاشور (ت 1393 هـ) بين لنا أن كتاب إرشاد الحيران لا يقتصر على التفسير بالمأثور، وإنما يجمع بين المأثور والرأي، وبعد قراءة الباحث لهذا السفر القيم تبين أنه جمع في تفسيره بين المعقول والمنقول، ليس ذلك الرأي المجرد عن الأصول الصحيحة الخاضعة للكتاب والسنة، والاعتماد على اللغة العربية وعدم صرف الآيات إلى مالا يدل عليه المشهور من كلام العرب، وموافقة الرأي للأثر شرط لقبول التفسير بالرأي، وهي عدم استقلالية الرأي عن نص الشارع من الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح، وإرشاد الحيران لا يخرج عن هذا، وعند التعرض للمنهجية بالتفصيل سيعرض الباحث نماذج من التفسير توضح هذا، وبناءً على ما سبق رأى الباحث دراسة المنهجية لهذا التفسير من جانبين: الأول التفسير بالمأثور، والثاني التفسير بالرأي.

المطلب الأول: التفسير بالمأثور

قبل أن يلج الباحث في بيان منهجية المؤلف في التفسير بالمأثور، رأى أن يقدم بمقدمة يبين فيها أهمية هذا النوع من التفسير، مبيناً أقسامه، وأنه الأصل الذي كتاب الله تعالى، وإليه المرجع والاحتكام عند اختلاف الآراء في التفسير للآيات القرآنية، لأن الله ﷻ أعلم بمراده، ولهذا قدِّم الوحيين الكتاب والسنة على غيرهما من طرق التفسير الأخرى، وفي هذا السياق قال ابن تيمية–رحمه الله–: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِرَ من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال

(149) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص7.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(ت 204 هـ): كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝﴾(150)، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾(151)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾(152)، ولهذا قال رسول الله ﷺ: " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه "(153) يعني السنة، والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، لا أنها تتلى كما يتلى، وذكر ابن تيمية أن هذه الطرق على الترتيب، فأولاها تقديماً القرآن ثم السنة كما تقدم من كلامه، وهذه هي المنهجية التي سلكها الشيخ أبو مزيريق في تفسيره إذا كان المعنى يكتمل ويتضح بتفسير القرآن بالقرآن عليها اكتفى بذلك(154) ودليل لذلك بحديث معاذ ﷺ الآتي، قال له رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن: تحكم؟ " قال: بكتاب الله. قال: " فإن لم تجد؟ " قال: بسنة رسول الله. قال: " فإن لم تجد؟ " قال: أجتهد رأيي. قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: " الحمد لله الذي

---

(150) القرآن. النساء 4: 104.

(151) القرآن. النحل 16: 44.

(152) القرآن. النحل 16: 64.

(153) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. 2001 م. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، ... بيروت: مؤسسة الرسالة. 28/ 410. حديث رقم 17174.

(154) ويرى بعض أهل العلم خلاف ذلك التقسيم وأن لا تقديم للكتاب على السنة وأن الصواب العمل بهما معاً، والذي يراه الباحث أن الشيخ أبا مزيريق لا يفرق بين بين الكتاب والسنة وإنما يكتفي أحياناً بتفسير القرآن بالقرآن إذا اتضح المعنى، خاصة وأن السنة ليست على درجة واحدة من الصحة، وحجة المخالف ضعف هذا الحديث، وإن كان هذا الحديث ضعيفاً سنداً فمعناه صحيح وعليه العمل عند أغلب الفقهاء والأصوليين . الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. 1404 هـ - 1984 م. *منزلة السنة في الإسلام*. الكويت: الدار السلفية. ص. 21.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وفق رسولَ رَسُولِ الله لما يرضي رسولَ الله "، وهذا الحديث في المساند والسنن بإسناد جيد.[155]

ويشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، مثال ما جاء في القرآن قوله سبحانه: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[156]، فإن كلمة من الفجر بيان وشرح للمراد من كلمة الخيط الأبيض التي قبلها وكذلك قوله سبحانه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾[157]، فإنها بيان للفظ كلمات من قوله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمت فتاب عليه على بعض وجه التفاسير، وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾[158]، فإنها بيان للفظ ما يتلى علينا في قوله سبحانه: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[159]، وغير ذلك مما يعلم بالتدبر لكتاب الله تعالى.

وما نُقل عن الرسول ﷺ، ومثاله ما جاء في السنة شرحا للقرآن أنه فسر الظلم بالشرك في قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾[160]

(155) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. 1490هـ/ 1980م. *مقدمة في أصول التفسير*. بيروت: دار مكتبة الحياة. ص 39: 40.

(156) القرآن. البقرة 2: 186.

(157) القرآن. الأعراف. 7: 22.

(158) القرآن. المائدة 5: 4.

(159) القرآن. المائدة 5: 2.

(160) القرآن. الأنعام 6: 83.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وأيد تفسيره هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[161]، وفسر الحساب اليسير بالعرض حين قال: "من نوقش الحساب عذب" فقالت له السيدة عائشة أو ليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾[162] فقال ﷺ: "ذلك العرض"[163] بيانا للحساب اليسير وكذلك فسر الرسول ﷺ: "القوة بالرمي"[164] في قوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ وفي صحيح كتب السنة من ذلك شيء كثير.

وهذا القسم لا شك في صحته؛ أما الأول فلأن الله تعالى أعلم بمراد نفسه من غيره وأصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأما الثاني فلأن خير الهدي هدي محمد ﷺ ووظيفته البيان والشرح، مع أننا نقطع بعصمته وتوفيقه قال تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[165]. وما نُقِل عن الصحابة ﷺ، وما نُقِل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله ﷻ من نصوص كتابه العزيز، وإنما نرجعنا في التفسير المأثور ما رُوِيَ عن التابعين – وإن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي؛ لأننا وجدنا كتب التفسير

---

(161) القرآن. لقمان 31: 12.

(162) القرآن. الانشقاق. 84: 7، 8، 9.

(163) البخاري، محمد بن اسماعيل. 1422. *صحيح البخاري*. كتاب الرقاق. باب من نوقش الحساب عذب. جـ 8. ص 111. حديث رقم 6536.

(164) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. *صحيح مسلم*. كتاب الإمارة. باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه. جـ 3. ص 1523. حديث رقم 1917.

(165) القرآن. النحل 16: 44.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بالمأثور، كتفسير ابن جرير وغيره، لم تقتصر على ما ذُكِر ما رُوِىَ عن النبي ﷺ وما رُوِىَ عن أصحابه، بل ضمت إلى ذلك ما نُقِل عن التابعين في التفسير(166).

وقد عند كثير من العلماء تقسيم التفسير بالمأثور إلى أقسام أربعة وهي : تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين(167)، إلا أن بعض المحققين يرى أن هذا التقسيم غير دقيق، فتفسير القرآن بالقرآن ليس كله من قبيل الأثر؛ فبعضه منقول عن النبيﷺ والكثير منه اجتهادات المفسرين، فما نقل عن النبيﷺ وأصحابه يعد من التفسير بالمأثور، أما غير ذلك فهو الاجتهاد والرأي بحسب لقائله، وكذلك جرى الخلاف في تفسير التابعي، وإذا نظرنا إلى التفاسير المصنفة من قبيل التفسير بالمأثور، كتفسير الطبري، وابن كثير وغيرهما وجدنا نقولاً كثيراً عن التابعين، وبعد النظر في آراء العلماء يتبين للباحث؛ أن الخلاف يكون في اجتهادات التابعين فقط؛ أما ما نقلوه عن الصحابة فهو من قبيل المأثور والله أعلم(168)، وفي المسألة كلام كثير وتفصيلات، ولكن في الجملة فإن هذه الأقسام الأربعة من أحسن طرق التفسير فأوليا بالتقديم.

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن عند الشيخ أبي مزيريق

لقد غلب على تفسير أبي مزيريق الجانب اللغوي ومع ذلك لم يهمل تفسير القرآن بالقرآن فكما نقل الباحث سابقاً أنه من أحسن طرق تفسير الكتاب العزيز، فقد أدلى الشيخ برأيه في هذا الجانب، فلا

(166) الزُرْقاني، محمد عبد العظيم. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة الثالثة. ج 2. ص 12. والذهبي، محمد السيد حسين. *التفسير والمفسرون*. القاهرة: مكتبة وهبة. ج 1. ص 112.

(167) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.1994 م. *مقدمة في أصول التفسير*. ص 39. الزرقاني، محمد عبد العظيم. 1995 م. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. ج 2 ص 12. الذهبي، محمد حسين. 2000 م. *التفسير والمفسرون*. القاهرة: مكتبة وهبة. ج 1 ص112.

(168) الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر. 1427 هـ. *مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر*. الطبعة الثانية. الرياض: دار ابن الجوزي. ص 19، 29.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

يكاد يخلو جانب من هذا الكتاب من تفسير القرآن بالقرآن، والأمثلة الآتية ستبين ذلك، فقد تعمد الباحث أن تكون موزعة على أجزاء الكتاب الاثني عشر، لتكون شاملة للتفسير كاملاً، وحاول الباحث واجتهد في ضع عنوان مناسب للأمثلة التي جاء بها.

ولقد جاءت منهجيته في تفسيره؛ بأن يأتي بالآية القرآنية التي تبين المراد من الآية المراد تفسيرها، أو ترجح بين المعاني المتبادرة للآية الكريمة إلى غير ذلك مما سيأتي في هذا المبحث.

أ -تفسير القرآن بالقرآن للترجيح بين أكثر من معنى متبادر من الآية مثل قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾[169]، ذكر المفسرون أقوالاً كثيرةً في تفسير لفظ "كلمات"، فبعد ذكر الشيخ لهذه الآية قال: والكلمات التي تلقاها آدم هي[170] قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝﴾[171].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝﴾[172]، تحتمل هذه الآية أن الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا ليسوا متساوين لا في الحياة ولا في الممات، واحتمال آخر هو أنهم وإن كانوا مستوون في أمور الحياة إلا أنهم مختلفون عند الموت، فيسعد المؤمن ويشقى غيره[173]، ويرى الشيخ أن من تمام الحق والعدل الذي خلق الله به السموات والأرض أن يختلفوا في ميزان الله سواء في

(169) القرآن. البقرة 2: 36.

(170) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج1. ص104.

(171) القرآن. الأعراف. 7: 22.

(172) القرآن. الجاثية. 45: 20.

(173) ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي. 1416 هـ. *التسهيل لعلوم التنزيل*. (تحقيق): الدكتور عبد الله الخالدي. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم. ج 2. ص271.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الحياة أو بعد الموت، واستنبط هذا الحكم من قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[174]، فقال عقب ذكر هذه الآية: وصلت هذه الآية بالعطف على الآية التي قبلها؛ لأنها كالدليل على انتفاء أن يكون الذين اجترحوا السيئات كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، فخلق السماوات والأرض بالعدل يستدعي التفاوت بين المسيء والمحسن. وقال: فاستكار التسوية بين مجترحي السيئات وفاعل الحسنات سواء في الحيات أو في الممات قاعدة صحيحة، انْبَنَى عليها الكون كله بما فيه ومن فيه[175].

ب – الجمع بين الآيات لاستخراج حكم لم تدل عليه الآية الأخرى مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾[176]، وبين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾[177]، فقال: "في هذا الآية حكم عام ... فالمرأة المطلقة قبل الدخول إن كان قد فرض لها مهراً، فلها نصف ذلك المهر المسمى. وإن لم يكن فرض لها مهراً فلها المتع تبع قدرة المطلق سعة

(174) القرآن. الجاثية. 45: 21.

(175) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 10. ص 534، 541.

(176) القرآن. البقرة 2: 235.

(177) القرآن. الأحزاب. 33: 49.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وضيقا، وهذا الحكم جاء في سورة البقرة، وقد زاد هنا بيان حكم العدة لهذه المطلقة وهو ما لم يذكر في آيتي البقرة. فقرر أن لا عدة عليها"[178].

أحياناً يجمع بين أكثر من آية؛ ليخرج بحكم واحد أو توجيه عام، استنباطاً من الآيات جميعاً، كما في تفسير قوله ﷻ: ﴿۞ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مَّدْخَلاً كَرِيماً ۝﴾[179]، قال: جاءت هذه الآية خاتمة لآيات التحريم كلها، بذلك الترغيب الجامع في اجتناب ما حرم من الأعراض والأموال والدماء-وكلها كبائر- بأنهم إذا اجتنبوا كبائر ما نهوا عنه فسوف يغفر لهم ما دونها من السيئات، ويتلقاهم في الآخرة بالتكريم، وقد سبق ما يتعلق بالتوبة من الشروط: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ۝﴾[180]، وهنا يقول: ﷻ ﴿۞ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مَّدْخَلاً كَرِيماً ۝﴾، فنعلم من الآيتين كيفية التخلص من [illegible] والآثام[181].

ج - الجمع بين الآيات لإزالة اللبس والإشكال، أو جمع آيات تتحدث في موضوع واحد، مثل قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا [illegible] ۝﴾[182]، فتبين من الآية أن الخلق غير مسؤولين عن أعمالهم يوم القيامة، ولكن هناك آيات أخرى تدل على أن السؤال واقع للخلق أجمعين

(178) أبو مزيريق. ج 9. ص 485.

(179) القرآن. النساء 4: 31.

(180) القرآن. النساء 4: 17.

(181) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 2. ص 476،477.

(182) القرآن. الرحمن 55: 38.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾[183]، فيرى المؤلف أن السؤال المنفي عنهم غير السؤال المثبت لهم، فالسؤال المنفي عنهم هو طلب الإخبار منهم إذ أن ذنوبهم واضحة ظاهرة عليهم لا تحتاج إلى سؤال، أما سؤالهم على وجه التوبيخ والتقريع فغير مقصود من هذه الآية، مستشهداً بآية أخرى دلت على هذا الفهم وهي قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾[184]، فيقول: لا يسأل المجرم عن ذنبه بل تظهر عليه علاماته واضحة جلية، فهو يعرف بسمته وهيئته، ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾! .. ففي هذا الموقف لا تكذيب ولا كتمان[185].

ومنه كذلك الجمع بين قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾[186]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[187]، مع قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[188]، فالآيات من سورة الأنعام تفيد الإعراض عن المشركين، وآية سورة النحل تفيد حوارهم وجدالهم بالحسنى، فهذا التعارض الظاهري أو الإشكال يمكن حله بذلك بحمل كل آية على معنى، فيلجأ المفسر إلى ذلك فيقول: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا

(183) القرآن. الحجر. 15: 92.
(184) القرآن. الرحمن 55: 40.
(185) أبو مزيريق. ج. 11. ص 274، 284.
(186) القرآن. الأنعام 6: 107.
(187) القرآن. الأنعام 6: 109
(188) القرآن. النحل 16: 125.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾، هذا عطف على قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝﴾؛ يزيد معنى الإعراض المأمور به بياناً، ويحقق ما سبق من القول: أن ليس المقصود من الإعراض ترك الدعوة، بل المقصود الإغضاء عن سبابهم ومنعهم أقوالهم؛ لأن الرد عليهم بمثل أقوالهم مما يزيد في غيظهم وتصلبهم، وهو ينافي لما أراد الله من الدعوة في قوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، فصار السب عائقاً عن المقصود من البعثة.(189)

ومنه جمع الآيات الدالة على شيء واحد، مثل جمعه الآيات الدالة على ما يحدث للكون في النهاية، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝﴾(190)، فقال: "هذه الآية من مجموع الآيات التي وردت في وصف مصير الكون يوم القيامة، وهي تشير كلها إلى وقوع دمار كامل يشمل الكون المعروف للإنسان الآن: من سماء وشمس ونجوم وأرض وجبال وبحار...﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝ ﴾(191)، إلى غير ذلك من الآيات التي تشير إلى ذلك الحدث الهائل الذي سيغير وجه الكون كله، ولا يعلم حقيقته إلا الله تعالى" (192).

د -التفسير باتباع السياق القرآني لفهم المراد من الآية، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾(193)، للعلماء أقوال في من ينطبق عليه وصف الولي، وعاصر المؤلف مفاهيم أخرى للعامة في الولي، ولكن الآية التي تلي هذه وهي معها في نفس السياق بينت من

(189) أبو مزيريق. جـ 4. ص 143.
(190) القرآن. الرحمن 55: 36.
(191) القرآن. المرسلات 77: 8، 9، 10.
(192) أبو مزيريق. جـ 11. ص289.
(193) القرآن. يونس 10: 62.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

يكون الولي؛ وهم المؤمنون المتقون، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ (194)، ثم قال المؤلف: إن أولياء الله الذين يتحدث عنهم السياق، هم المؤمنون حق الإيمان، والمتقون حق التقوى، والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، والعمل هو تنفيذ ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، هكذا يجب أن نفهم معنى الولاية لله، لا كما يفهمه العوام من أنهم المهبولون المخبولون (195).

في بعض الأحيان نجد المؤلف يراعي السياق لمجموعة من السور في توضيح قضية من القضايا المهمة، فقد بين في حقيقة الشح والبخل ومآل أصحابه، وكذلك في السورة التي تليها وهي سورة الحاقة، ثم لما جاء في سورة المعارج التي جاءت بعدها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً ۝٢١﴾(196) قال: فقد تقدم في سورة القلم مشهد الشحيح البخيل، وفي سورة الحاقة النسب الأصيل في البخيل الذي لا يحض على طعام المسكين النار المتأججة والسلاسل المسلسلة، فمن ثم تتكرر الأمر في هذا الشأن، وتكرر التحذير في ثلاث سور متوالية. ثم بعد هذا يتجه السياق إلى تصوير الحقيقة البشرية في مواجهة الخير والشر، في حالتي إيمانها وخلوها من الإيمان ... ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً ۝٢١﴾ فصورة الإنسان غير صادق الإيمان كما يرسمها القرآن، صورة عجيبة في صدقها ودقتها وتعبيرها الكامل عن الملامح الأصيلة في هذا المخلوق؛ والتي لا يعصمه منها ولا يرفعه عنها إلا

(194) القرآن. يونس 10: 62، 63.

(195) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 5. ص 376، 406.

(196) القرآن. المعارج 70: 19، 20، 21.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

العنصر الإيماني، الذي يصله بمصدر يجد عنده الطمأنينة التي تمسك به من الجزع عند ملاقاة الشر، ومن الشح عند امتلاك الخير[197].

هـ -قد يأتي بالآية للاستشهاد على معنىً معين كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝﴾[198]، فعند إرادته تفسير معنى العهن، قال: العهن: الصوف الملون ألواناً، على حد قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝﴾[199] ، عندما تندك وتذهب هباء يرى هذا الهباء ملوناً مثل ما يرى السحاب في الجو، ثم تكون سراباً، ثم تتلاشى[200].

و -لتفسير معنى كلمة، أو حرف

مثال الأول: تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ۝﴾[201]، فكلمت **"العهد"** تحتمل عدة معان، لكن المؤلف حملها على الإيمان بالله وبرسله وما جاء به محمد ﷺ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝﴾[202] ، فقال: العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل هو الإيمان بدين الله، دين الإسلام الذي جاءت به جميع الرسل، ومن جملة هذا الإيمان ما جاء به محمد ﷺ من عند الله وهو

---

(197) أبو مزيريق. ج12. ص 129.

(198) القرآن. القارعة 101: 4.

(199) القرآن. فاطر 35: 27.

(200) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج12. ص 123.

(201) القرآن. البقرة 2: 39.

(202) القرآن. البقرة 2: 40.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

امتداد لرسالة الله ولعهد الله منذ البشرية الأولى؛ يضم جناحيه على ما مضى، ويأخذ بيد البشرية فيما سيأتي، كما يوحد بين البشرية كلها في أجيالها جميعاً وفي أهدافها جميعاً، ويجمع بين البشر إخوة متعارفين، يلتقون على عهد الله ودين الله، ولا يتفرقون شيعاً وأحزاباً، والكل عباد الله، مستمسكين جميعاً بعهده الذي لا يتبدل منذ فجر الحياة (203).

مثال الثاني: أحياناً يأتي بالآية لتقريب معنى كلمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ (204)،فقال: البعولة جمع بعل، وهو اسم زوج المرأة، ويطلق على من له سيادة مطلقة، وسمي به معبود قوم إلياس عليه السلام في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (205)، وأطلق على الزوج لقوة الرجولة فيه، وسمي الشجر الذي لا يسقى بعلاً؛ لقوته واستغنائه عن السقي (206).

فيتضح لنا أن المفسر يأتي بالآية لبيان المعنى المراد من كلمة لها عدة معان واحتمالات؛ كما في المثال الأول عند شرحه لمعنى "**العهد**"، وقد يأتي بالآية القرآنية لتقريب المعنى كما في المثال الثاني.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

(203) أبو مزيريق. جـ 1. ص 125.

(204) القرآن. البقرة 2: 226.

(205) القرآن. الصافات 37: 125

(206) أبو مزيريق. جـ 1. ص 403.

مثال الثالث: كذلك يورد المفسر الآية، يقصد بها تبيين دلالة حرف واحد، كما في تفسيره للباء في قول الله ﷻ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الباء للملابسة، والملابسة هي المصاحبة، وهي الإلصاق أيضاً، فهذه مترادفات في الدلالة على هذا المعنى[207]، وهي كما في قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾[208].

ز-لإظهار علة الحكم وسببه كما في قوله:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝﴾[209]، فبين الله ﷻ أن المشرك إذا حان أجله طلب من الله فرصة أخرى للعود للحياة الدنيا ليستدرك ما فاته ويؤمن بالله ويتوب إلى الله، لكن الله ﷻ لم يسمح له بالعودة بعد انتهاء آجالهم، فعلل المؤلف ذلك أن رجوعهم لا فائدة منه ترجى، بل ولو رجعوا لعادوا لما كانوا عليه في السابق، وذلك من خلال استدلاله بآيات أخرى، فقال عقب هذه الآية: وهي كلمة قيلت في غير وقتها المطلوب بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ۝ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۝﴾[210]. وقوله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝﴾ فالموت برزخ حاجز بين الدنيا والآخرة، وهو

(207) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 29.

(208) القرآن. المؤمنون 23: 20.

(209) القرآن. المؤمنون 23: 100، 101.

(210) القرآن. النساء 4: 17، 18.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مانع من الرجوع إلى الدنيا، فلا فائدة في طلب الرجوع؛ إذ لو رجعوا إلى الدنيا لرجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والعناد، ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (212).

ح -يستشهد بنظير الآية للتأكيد على نفس المعنى، أو يأتي بآيات أخرى يبن بها معنى جديد

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾(213)، فبعد شرحه لهذه الآية قال: كما في الآية نظيرتها ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾(214)، فجاء بآية سورة النحل؛ لتأكيد المعنى المستنبط من آية سورة المائدة (215).

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾(216)، فنعد شرحه لهذه الآية بين معناها؛ وأن هذه الآية تبين سوء معتقد اليهود وخبث طويتهم، إلى أن قال: وقول اليهود هذا حكى القرآن مثله في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ

(211) القرآن. الأنعام 6: 29.

(212) أبو مزيريق. ج 8. ص 271، 272.

(213) القرآن. المائدة 5: 4.

(214) القرآن. النحل 16: 115.

(215) أبو مزيريق. ج 3. ص 269.

(216) القرآن. المائدة 5: 66.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾[217]، فجاء بالآية الأخرى لزيادة التأكيد على معنى الآية الأولى [218].

وقد يأتي بالآيات لبيان معنى آية، مثال ذلك عندما تعرض المفسر لتفسير قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾﴾ [219]، نطلب من الله الهداية والدوام عليها...والصراط المستقيم هنا الإسلام، دين الله الذي جاءت به جميع الرسل ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[220]، وهو الدين المستقيم الواضح ... ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ فنجدها تعطينا نموذجاً رائعاً على من وفقه الله، فمن هم الذين أنعم الله عليهم؟ وما هو صراطهم؟. هم الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وصراطهم هو الإسلام، ... كما جاء في القرآن المبين[221].

ط -يأتي بالآيات للدلالة على أمر باطن غير ظاهر.

مثال ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[222]، لعل الظاهر من أحوال اليهود والنصارى في الماضي والحاضر النصح للمسلمين والنفع لهم، مع انهم يضمرون خلاف ذلك، والله ﷻ بين لنا في

(217) القرآن. آل عمران 3: 181.
(218) أبو مزيريق. ج 3. ص 379، 380.
(219) القرآن. الفاتحة 1: 5، 6.
(220) القرآن. آل عمران 3: 19.
(221) أبو مزيريق. ج 1. ص 44.
(222) القرآن. آل عمران 3: 100.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

كتابه شدة عدائهم لنا فلا ينبغي أن ننخدع بمعسول كلامهم، ففي الحقيقة هم يسعون لدمار أوطاننا وخراب ديارنا، وهذا المعنى لم يغب عن المفسر رحمه الله فقد عنون لهذه الآية بعنوان: **"النصارى واليهود للإسلام العقبة الكؤود"**، وساق بعض الآيات تبين حقيقة ما يضمره النصارى واليهود تجاه المسلمين فقال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[223] ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ...﴾[224]، ومن هذا كله تظهر فائدة العنوان الذي صدرنا به موضوع الكلام: **"النصارى واليهود للإسلام العقبة الكؤود"**.[225]

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة

السنة في اللغة تطلق بعدة إطلاقات منها: العادة، والطريقة، والسيرة، حسنة كانت أو سيئة[226]، وأما اصطلاحاً فقد عرفت بعدة تعريفات مختلفة في لسان أهل الشرع، وكان هذا حسبَ اختلاف الأغراض التي اتجه إليها العلماء مِنْ أبحاثهم، فبعد أن تشعبت العلوم التي تبحث في السنة برزت هذه التعريفات محددة الغرض في كل اتجاه، فعلماء أصول الفقه عنوا بالبحث عن الأدلة الشرعية، وعلماء الحديث عنوا بنقل ما أضيف إلى النبي ﷺ، وعلماء الفقه عنوا بالبحث عن الأحكام الشرعية من فرض وواجب ومندوب وحرام ومكروه، والمتصدرون للوعظ والإرشاد عنوا بكل ما أمر به الشرع أو نهى عنه، وعرفها المحدثون بأنها: أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخَلقية والخُلقية، وسائر أخباره، سواءً كان ذلك

---

(223) القرآن. البقرة 2: 104.

(224) القرآن. البقرة 2: 215.

(225) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 2. ص 208.

(226) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على. 1414 هـ. *لسان العرب*. الطبعة: الثالثة. بيروت: دار صادر. ج 13 ص 225.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

قبل البعثة أم بعدها"، ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة، أي القرآن والحديث[227]، والمقصود في هذا المبحث هو الحديث الشريف.

السنة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، وقد أجمع على ذلك علماء المسلمين قديماً وحديثاً، فيجب اتباعها، وتحرم مخالفتها. وقد تضافرت الأدلة القطعية على ذلك، فأوجب الله سبحانه على الناس طاعة رسوله ﷺ وبيَّنَ أنه ﷺ هو المبيّن لما أنزل من القرآن، وذلك بعد أن عصمه من الخطأ والهوى في كل أمر من الأمور ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝﴾[228]. كما عصمه من الناس حين أمره بتبليغ ما أنزل إليه قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝﴾[229].

-منزلة الحديث في إرشاد الحيران

السِّمة العامة عند الشيخ أبي مزيريق في تفسيره؛ أنه لا يكثر من رواية الأحاديث بل تجده يكتفي بالمعنى اللغوي، أو يحتج بآية أخرى تبين المراد من الآية، وتعين على فهمها، إلا في بعض الأحيان عندما يتعرض لقضية أو مشكلة يراها قائمة؛ فإنه يأتي بالأحاديث لدعم الفكرة أو التوجيه الذي يستنبطه من الآية، مثال ذلك: عندما تعرض لتفسير قول الله تبارك وتعالى﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ

---

(227) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. 1403هـ -1983م. *كتاب التعريفات*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية. ص 122. وابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري. 1399هـ - 1979م . *النهاية في غريب الحديث والأثر*. طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي ((تحقيق)). بيروت: المكتبة العلمية. ج2 ص409، وأبو زهرة، محمد محمد. 1958م. *الحديث والمحدثون*. مصر، القاهرة: دار الفكر العربي. ص 8.

(228) القرآن. النجم 53: 3، 4، 5.

(229) القرآن. المائدة 5: 69.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلإِنسَانُ ضَعِيفاً ﴿٢٨﴾﴾[230]، لعله يرى من بعض الناس تشدداً وتنطعاً، فعند شرحه للآية ساق بعض الآيات والأحاديث الدالة على يسر هذا الدين فقال: "هذا ما أراد الله من إنزال الشرائع عموماً، وإنزال هذه الشريعة خصوصاً، ليبين للناس سبيل السلام...ثم بين سبحانه وتعالى الفرق بين تشريعه وتشريع الجاهلين الذين يتبعون الشهوات"، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ ، وقوله ﷻ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[231]، وقوله ﷻ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[232]، والآيات الدالة على هذا المعنى بلغت مبلغ القطع، وكذلك الأحاديث التي وردت في هذا الموضوع كقولهﷺ " إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ"[233]، وكذلك كان يأمر أصحابه الذين يرسلهم إلى بث الدعوة، فقال لمعاذ وأبي موسى : "يسرا ولا تعسرا "[234] وقال: "إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ لَا معسّرين"[235].

---

(230) القرآن. النساء 4: 26، 27، 28.

(231) القرآن. البقرة 2: 184.

(232) القرآن. الحج 22: 76.

(233) البخاري، محمد بن اسماعيل. 1422هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الإيمان. باب الدين يسر. حديث رقم (39) جـ 1، ص 16.

(234) البخاري. *صحيح البخاري*. كتاب الجهاد والسير. باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه. حديث رقم (3038) جـ4، ص 65.

(235) البخاري. *صحيح البخاري*. كتاب الوضوء. باب صب الماء على البول في المسجد. حديث رقم (220) جـ 1، ص 54.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وقال لمعاذ لما شكا بعض المصلين خلفه من تطويله «أَفَتَّانٌ أَنْتَ» [236]. فكان التيسير من أصول الشريعة الإسلامية، وعنه تفرعت الرخص بنوعيها [237].

والغالب على المفسر في تفسيره استخدام اللغة العربية والتوسع في ذلك، إلا أنه يورد الأحاديث أحياناً عند الحاجة إليها، ولا يستطرد كثيراً في الاحتجاج بالأحاديث وإنما يحيل من أراد الزيادة إلى كتب السنة، كما ورد في بعض المواضع من تفسيره، فقال عند تفسيره لسورة آل عمران: وقد تكفلت كتب السنة ببيان ذلك على التفصيل [238].

وقد قام الباحث بدراسة جميع الأحاديث الواردة في الربع الأول من القرآن الكريم في تفسير إرشاد الحيران، واستنتج الباحث من خلال تخريجه لتلك الأحاديث؛ أن المفسر اعتمد في تفسيره على الأحاديث الصحيحة، وكانت غالبية الأحاديث مخرجة عند البخاري ومسلم؛ فبلغ عدد ما اتفق عليه البخاري ومسلم أو تفرد به أحدهما ثمان وعشرين من أصل ست وثلاثين قام الباحث بدراستها، وأربعة أحاديث أخرى مخرجة في غير الصحيحين، وحكم عليها المحدثون بالصحة، بقيت أربعة أحاديث أخرى اختلف فيها أهل العلم بين صحيح وحسن وضعيف، فخلص من هذه الدراسة خلو الكتاب من الأحاديث الموضوعة أو شديدة الضعف [239]، ولم يتعرض المفسر لتصحيح الأحاديث إلا في بعض المواضع كما قال في حديث «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبَسْمِ اللَّهِ فَهُوَ أَقْطَعُ» [240] فعقب

---

(236) البخاري. *صحيح البخاري*. كتاب الأذان. باب من شكا من إمامه إذا طول. حديث رقم (705) جـ 1، ص 142.

(237) أبو مزيريق. جـ 2. ص 475.

(238) المصدر السابق ج2. ص 471.

(239) ينظر الملحق رقم (2).

(240) العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي الدمشقي. 1420هـ -2000 م. *كشف الخفاء ومزيل الإلباس*. (تحقيق): عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي. بيروت: المكتبة العصرية. جـ 2. ص 140. حديث رقم (1964).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

استشهاده بهذا الحديث قال: لم يورده أصحاب السنن ولا المستدركات، وقد وصف بأنه حسن، وممن حسن هذا الحديث العجلوني في كشف الخفاء [241].

-دراسة تطبيقية لبعض الآيات في تفسير القرآن بالحديث النبوي الشريف

1 -يأتي بالحديث استدلالاً على حكم أو قضية ما لا مجال لفهمها بالعقل؛ إنما يجب الرجوع فيها للمأثور.

مثال ذلك عند تفسيره لقول الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [242]، قال: فالمراد بالذين آمنوا قبل مبعث محمد بعيسى، والبراء من أباطيل اليهود والنصارى، ومن بقي على الفطرة من العرب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [243]، ومن لم تبلغه دعوة الرسل السابقين وبقي على الفطرة الأولى مستشهداً بقول النبي ﷺ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، ...» [244]، مثل ورقة بن نوفل، وسلمان الفارسي، وقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، أما الذين كانوا على الدين الباطل مثل اليهود والنصارى والصابئين، فلا يقبل منهم دينهم الباطل إلا بالتبريء منه ودخولهم في دين الإسلام[245].

---

(241) المصدر السابق. ج 2. ص 140.

(242) القرآن. البقرة 2: 61.

(243) القرآن. الأنعام 6: 83.

(244) البخاري. كتاب الجنائز. باب ما قيل في أولاد المشركين. حديث رقم 1385. ج 2 ص 100.

(245) أبو مزيريق. ج 1. ص 149.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فنلاحظ هنا استشهاد المفسر بالحديث في أمر غيبي لا مجال للعقل فيه ولا يمكن فهمه من النص القرآني مباشرة باستخدام اللغة، كما هي عادة المفسر.

2 – يأتي بالحديث لبيان كيفية تطبيق حكم ما.

مثال ذلك في قوله ﷻ ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾ [246]، فقال: والاستعانة معروفة ومألوفة، فما الاستعانة بالصلاة؟ إن الصلاة صلة ولقاء بين القلب والرب، صلة يستمد منها القلب قوة، وتحس فيها الروح راحة، ويستهين فيها العزم بقوى الأرض وهو على اتصال بقوة الأزل والأبد، وقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [247]، وهو الوثيق الصلة بالله، الموصول القلب والروح بالإلهام وعالم الملإ الأعلى [248].

ففي هذه الآية الله ﷻ أمرنا بالاستعانة بالصلاة، فنحن مأمورون بهذه الاستعانة لأنها ثابتة بنص الكتاب العزيز؛ ولكننا محتاجون لمعنى وكيفية هذه الاستعانة هنا يلجأ المفسر للسنة لتقريب معنى الاستعانة بالصلاة.

3 – قد يكون للفظ أكثر من معنى فيأتي بالحديث ليبين المراد.

---

(246) القرآن. البقرة 2: 44، 45.

(247) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. 2009 م. *سنن أبي داود*. (تحقيق): شعَيب الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل قره بللي. دار الرسالة العالمية. كتاب الصلاة. باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل. حديث رقم 1319. جـ 2 ص 485. إسناده ضعيف، لجهالة محمد بن عبد الله ويقال: محمد بن عبيد أبو قدامة تفرد بالرواية عنه عكرمة بن عمار اليمامي، ولم يوثقه أحد وعبد العزيز ابن أخي حذيفة روى عنه اثنان من المجهولين، وقال الذهبي: لا يعرف، ومع ذلك وثقه العجلي وذكره ابن حبان في "الثقات". تعليق المحقق على سنن أبي داود جـ 2 ص485.

(248) أبو مزيريق. جـ 1. ص 128.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

كما في بيانه لمعنى **"الإحسان"** في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (249)، فللإحسان معان عديدة؛ ولا مجال لتعيين المراد من الإحسان في هذه الآية، ولهذا لجأ المفسر للسنة لبيان ذلك، فقال: والمراد بالإحسان هنا الإحسان الشرعي كما بينه رسول الله ﷺ في جوابه لجبريل عليه السلام قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(250)، ومعناه الإخلاص والإتقان، فمن أسلم وجهه لله وهو محسن فقد ضمن الأجر وضمن الأمن وضمن المسرة، تلك هي القاعدة المطلقة التي يستوي فيها عباد الله جميعا(251).

وكذلك في بيانه لمعنى ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾، في تفسيره لقوله تعالى:﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾(252)، قال: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾، والمراد هنا صلاة الصبح وصلاة العصر كما ورد في الحديث الصحيح: إن الملائكة يجتمعون في هذين الوقتين(253).

4 – في الرد على المخالفين، يأتي بالحديث موافقاً للآية القرآنية للتأكيد على المعنى المراد منها؛ مثال ذلك في تفسيره وبيانه للاتباع، والطاعة لله ورسوله ﷺ وأن الطاعة تقتضي الاتباع الصادق وعدم مخالفتهم، والرد على من يدعي الاتباع؛ وهو في الحقيقة اتباع كاذب، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ

---

(249) القرآن. البقرة 2: 111.

(250) البخاري. كتاب الإيمان. باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة. حديث رقم 50 جـ 1 ص19.

(251) أبو مزيريق. جـ 1. ص 239.

(252) القرآن. الفتح. 48: 9.

(253) أبو مزيريق. جـ 11. ص 87.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾(254)، فقال: ... فالأمر بالطاعة هنا لله وللرسول شرط في الاتباع الصادق الواضح الذي يكشف عن ادعاء المنافق، فكثير من الناس يدعون الاتباع لكي يجعلوه قناعاً يختفون تحت هذا القناع، (255)ثم ذكر قول النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(256).

5 – لبيان أن الأمور لا تؤخذ على ظاهرها تماشياً مع قاعدة أن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع، وإن كان الظاهر للناس خلاف ذلك.

مثال ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾(257) حيث قال: ...وفي هذا الكلام نكتة خفية مبنيّة على حكمة أبية: وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض؛ فإنما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الأخرى، فإن المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة استحسنتها نفوس العصاة، كما نطقت بها هذه الآية الكريمة، وكذلك الطاعات، فإنها مع كونها أحسن المحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة، ولذلك قال ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ،

(254) القرآن. آل عمران 3: 31، 32.

(255) أبو مزيريق. ج 2. ص 124.

(256) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. د ت. صحيح مسلم. (تحقيق) محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب الأقضية. باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور. ج 3. ص 1343. حديث رقم (1718).

(257) القرآن. الأنعام 6: 109.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»[258]، فأعمال الكفرة قد برزت لهم في النشأة بصورة مزيّنة يستحسنها الغواة، ويستحبها الطغاة، وستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة[259].

6 – يأتي بالحديث لمزيد من البيان عما ورد في الآية الكريمة.

مثال ذلك في تفسير الله ﷻ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[260]، قال: هذا جانب ضخم من التصور الإيماني الذي ينشئه الإسلام في ضمير المؤمن، فيحس يد الله في حدث، ويرى يد الله في كل حركة، ويطمئن قلبه لما يصيبه من الضراء ومن السراء، يصبر للأولى ويشكر للثانية، وفي الحديث المتفق عليه: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ[261]»[262].

7 – يذكر أحياناً الحديث لبيان معنىً لغوي.

مثال ذلك عند تفسيره (للبطانة) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ

---

(258) مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. جـ 4. ص 2174. حديث رقم (2822).

(259) أبو مزيريق. جـ 4. ص 143.

(260) القرآن. التغابن. 64: 11.

(261) مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الزهد والرقائق. باب المؤمن أمره كله خير. جـ 4. ص2295، حديث رقم 2999. ذكر

المفسر أن هذا الحديث متفق عليه ولكنه لم يرد عند البخاري رحمه الله، لعله سبق قلم منه.

(262) أبو مزيريق. جـ 12. ص 19.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أَطْهَرَ قد بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿﴾[263]، فقال: "البطانة بكسر الباء في الأصل ما يكون تحت الثوب وجمعها بطائن، والبطانة أيضاً الثوب الذي يجعل تحت ثوب آخر، ويسمى شعاراً، والظهارة: «الأنصارُ شِعارٌ، والنَّاسُ دِثارٌ»[264]، ثم أطلقت البطانة على صديق الرجل وخصيصه الذي يطلع على شؤونه تشبيهاً ببطانة الثياب في شدة القرب من صاحبها.[265]

ثالثاً: التفسير بأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم

قد سبق [illegible] التفسير بأقوال الصحابة والتابعين، وبيان الخلاف بين العلماء في ذلك، وعلى كل حال فإن كثيراً من أهل [illegible] عنوا بالتفسير بالمأثور، إلى جانب تفسيرهم بالقرآن والسنة؛ فإنهم يعتمدون على [illegible] في التفسير، بأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم، وبالنظر في كتاب "إرشاد الخوان إلى [illegible] التفسير لم يول هذا اللون من التفسير اهتماماً كبيراً، وإنما لجأ إليه في مواضع [illegible] الخوف من تفسير القرآن بالأقوال الضعيفة التي لم تثبت بسند قوي، مع كثرتها في [illegible] في الإسرائيليات، التي يحذر منها دائماً، ويتميز تفسيره بالخلو من الأحاديث [illegible]، وهذا واضح لمن تتبع كلام المفسر، فبعد سرده لقصة البقرة قال: "...والرواية [illegible] تفيد اليقين، مع ما قال كثير من العلماء: إن أكثر روايات التفسير عن ابن عباس [illegible]، ولقد قال أحمد بن حنبل رحمه الله: إن أكثر التفسير المنقول لا يصح!، ويقصد بذلك المنقول عن الضعفاء أو المجهولين والمنقول عن

(263) القرآن، آل عمران 3: 118.

(264) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ج 5، ص 157، حديث رقم 4330.

(265) أبو مريق، أحمد عبد السلام. 2011. إرشاد الخوان إلى توجيهات القرآن. ج12، ص 19.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

اليهود من القصص الشعبية والخيالات الخرافية، التي خلط بها التفسير، وأخذ بها بعض المفسرين بحسن نية، ورووها دون تمحيص وبحث في صحتها[266].

هذا الكلام يوضح السبب وراء قلة الرواية في تفسير أبي مزيريق، وهو الخوف من الوقوع في الروايات الضعيفة، وكذلك امتدح المفسر الأئمة مالكاً والشافعي وأحمد بن حنبل؛ لتوخيهم الدقة والصحة في نقل الأخبار، فقد بين أن العلماء المخلصين الجادين الذين هالتهم هذه الروايات وغرابتها وكثرتها، وفي مقدمتهم الإمام مالك والشافعي، والإمام أحمد وغيرهم من السلف الصالحين، وكذلك من سار على نهج الإمام الرازي والشاطبي، وابن كثير، وابن خلدون، وغيرهم من بقية العلماء الراشدين المهديين المعتدلين.

بعد بيان سبب قلة الرواية عن الصحابة والتابعين، يذكر الباحث بعض الأمثلة لهذا اللون من ألوان التفسير، وإن كان فيه "لون" من بعض المنقولات عن الصحابة والتابعين.

–دراسة تطبيقية للتفسير بأقوال الصحابة:

يأتي بالأثر عن الصحابي لبيان الحكمة، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾ بعد بيانه لحد الإيلاء والحكمة من تحديده بالأربعة أشهر قال: وهذا التحديد قد يكون منظوراً فيه أقصى مدى الاحتمال في تفسد

(266) المصدر نفسه، ج 1، ص 164.
(267) المصدر نفسه، ج 1 ص 165.
(268) القرآن الكريم، البقرة 2: 224.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

نفس المرأة فتتطلع تحت ضغط حاجتها إلى غير رجلها الفاجر، وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل ابنته حفصة زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين عن أقصى مدى تصبر فيه المرأة عن رجلها فأجابت: أربعة أشهر، فاعتزم أن لا يحبس المجاهدون من الجند أكثر من هذه الفترة[269].

ومنه ما رواه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾[270]، مبيناً الحكمة من هذا التحريم وهي الخطأ في الصلاة، [illegible] هذه الآية بما سبقها من النهي عن الشرك بالله وأن الدخول في الصلاة [illegible] قراءة القرآن على نحو يؤدي إلى الشرك عياذاً بالله، كما جاء في الأثر المروي عن [illegible] الذي تلفظ به إمامهم في الصلاة، فقال: والمناسبة أنه لما [illegible] فيما سلف عن الإشراك [illegible] إليه من حيث لا يحتسبون، فإنه روي أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاماً [illegible] فدعا نفراً من الصحابة رضي الله عنهم فأكلوا وشربوا حتى ثملوا، وجاء وقت صلاة [illegible] فقرأ: "أعبد ما تعبدون[271]"[272].

وكذلك روى أثر عن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُواْ

---

(269) أبو عبيد، ج 1، ص 428.

(270) القرآن، النساء 4: 43.

(271) الترمذي، محمد بن عيسى. 1975 م. سنن الترمذي. (تحقيق) أحمد محمد شاكر، وآخرون. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة النساء ج 5، ص 238. حديث رقم 3026. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(272) أبو عبيد، ج 3، ص 14.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الله من فضله. إنّ الله كان بكلّ شيء عليماً ﴿273﴾، فقال: ... كتمني أم سلمة أن يغزو النساء كما يغزو الرجال [274].

المطلب الثاني: التفسير بالرأي

يهدف الباحث في هذا المطلب إلى بيان منهجية المفسر في التفسير بالرأي، ويقصد بالرأي ذلك الرأي القائم على أصول معتبرة عند أهل العلم بالتفسير، وهو ما اصطلح عليه باسم التفسير بالرأي المحمود، فإن التفسير المبني على مجرد الرأي والاجتهاد ممنوع شرعاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿36﴾﴾ [275] وقوله عز من قائل: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿169﴾﴾ [276].

وقد جعل السيوطي [illegible] اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي وهذا قد ذكره جماعة ونص عليه أحمد في [illegible] عنه أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال: ظاهره [illegible] تفسيره القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد. وقيل: الكراهة تحمل على صرف [illegible] خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبا إلا في الشعر و[illegible] البيهقي [277]

(273) القرآن. النساء 4: 32.

(274) أبو عبيد. ج 2. ص 477.

(275) القرآن. الإسراء 17: 36.

(276) القرآن. البقرة 2: 168.

(277) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسْرَوْجِردي. 1423 هـ - 2003 م. شعب الإيمان. (تحقيق) عبد العلي عبد الحميد حامد. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. ج 3. ص543.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

في الشعب عن مالك قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا[278].

والمقصود في المنع هو التفسير المستند على الرأي من غير رجوع لقواعد الفقه والأصول واللغة العربية، وهو كما قال الطيار: وله عدة صور، ويغلب على صاحبه الجهل واتباع الهوى، وعلى هذا أغلب تفاسير المبتدعة من الرافضة وغيرهم[279].

وقد اختلف العلماء، فمنهم من يتوسع على رأيين في الأخذ بالرأي في تفسير كتاب الله، بعضهم يمنع منه مطلقاً، ومنهم من يجيز ذلك ومقابلاً للتفسير بالمأثور؛ وإنما إلى جانبه يستخرج معاني الألفاظ من إشارات [illegible] وراء ذلك الأسرار البلاغية في القرآن الكريم.

وقد ذكر الشيخ [illegible] الغزالي كان ممن سلكوا ذلك المنهاج، وأثبت بالأدلة العلمية أنّ التفسير بالرأي [illegible] يستدل على ذلك:

أولاً: بأنّ القرآن فيه كل علوم الدين، بعضها [illegible] بعضها بالإجمال، وبعضها بالتفصيل الذي يفتح الباب للفكر المستقيم، والاستبصار في [illegible] الوقوف عند ظواهر الآيات، ولا ظواهر أقوال السلف، بل لا بدّ من التعمق من [illegible] ما دامت لا تخالف المأثور، وهناك أمور وراء المأثور، يسير للمفسّر على ضوء المأثور، ولقد قال عبد الله بن مسعود: "من أراد

---

(278) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. 1394هـ/ 1974 م. الإتقان في علوم القرآن. (تحقيق): محمد أبو الفضل إبراهيم.

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. مج 4. ص 209.

(279) الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر. 2010. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر. ط2. الرياض: دار ابن الجوزي. ص 32.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن"[280]، وإن ذلك لا يكون بغير التعمق في الفهم، من غير تكلف، وتعرف الغايات بالإشارة والمرامي.

ثانيًا: أن القرآن الكريم فيه بيان صفاته تعالى وأفعاله، وذكر ذاته القدسية وأسمائه الحسنى، وإنَّ فهم ذلك مع التنزيه عن مشابهة المحدثات يحتاج إلى تدبر وفهم من غير الوقوف عند الظواهر، وجمع بين المؤتلف ونفي للقول المختلف.

ثالثًا: أنَّ قد [illegible] التدبر إلى الفهم والتدبُّر في معاني القرآن، فقد قال علي -كرَّم الله وجهه-: "من فهم [illegible] علمه، ومن علم لا يكون إلَّا بالتعمق في الفهم."[281]

رابعًا: إنَّ عبارات القرآن الكريم [illegible] إلى الفهم، فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[282]، إنَّ الحكمة هي فهم القرآن، وإذا كان الله تعالى قد وصف فهم القرآن بأنه [illegible] -سبحانه وتعالى- يدعو القادر على إدراك هذه الحكمة؛ ليُنال من علمها خيرًا كثيرًا.

---

(280) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم. 1409 هـ. المصنف في الأحاديث والآثار. (تحقيق كمال يوسف الحوت. الرياض: مكتبة الرشد. ط 6. ص 126. حديث رقم (30018)

126. حديث رقم 30018. والطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب. د. ت. المعجم الكبير. تحقيق حمدي بن عبد المجيد. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. ط 9. ص 136. حديث رقم 8666.

(281) علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري. 1981م. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. تحقيق بكري حياني، وصفوة السقا. الطبعة الخامسة. مؤسسة الرسالة. ط 3. ص 800. حديث رقم 8801. بلفظ: اليقين على أربع شعب، على غاية الفهم، وغاية العلم، وغاية الحكم، وروضة الحلم. فمن فهم فسر جمل العلم، ومن فسر جمل العلم عرف شرائع الحكم، ومن عرف شرائع الحكم حلم ولا يفرط في أمره، وعاش في الناس. ابن أبي الدنيا في اليقين.

(282) القرآن. البقرة 2: 268.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

خامسًا: إنَّ النبي ﷺ دعا لابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- بالفقه في القرآن، فقال ﷺ: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[283]، وليس التأويل إلَّا التفسير العميق الذي يتعرَّف به القارئ ما وراء العبادات من معانٍ دقيقة عميقة، ولو كان كل علم التفسير مأثورًا عن النبي ﷺ لقال ﷺ: "اللهم علمه التأويل"[284].

وعليه يتبين أنَّ التفسير بالرأي المحمود، ومتتبع كتب التفسير قديماً وحديثاً، يصعب عليه التفريق بين التفسير بالأثر والتفسير بالرأي؛ لأن المفسرين جمعوا بين الأثر والرأي في تفاسيرهم، حتى التفاسير [illegible] لا تخلو من رأي لأصحابها وترجيحات خاصة بهم، وأن تقسيمها إلى كتب [illegible] بالرأي؛ بحسب الغالب على مصنفيها في أحدهم بإحدى الطرق، فلا يخلو تفسير [illegible] من كتب التفسير بالمأثور، وكذلك تفسير الفخر الرازي لا يخلو من الأثر مع [illegible]، وخلاصة هذا المبحث أن التفسير بالرأي إلى جانب الأثر من غير معارضة [illegible] ما عليه العمل عندهم، وأن الممنوع هو الرأي المجرد عن الأصول القائم على اتباع [illegible]

-منهج أبي مزيريق في التفسير بالرأي

جمع المفسر في هذا التفسير بين الأثر والرأي، وإن كان [illegible] عليه الرأي كثيرًا لاعتماده على علوم اللغة كثيراً، فقد ذكر في مقدمة تفسيره أنه جمع ما تيسر له تجميعه من مباحث لغوية، [illegible] بلاغية، وأعاريب نحوية، فالمفسر يعتمد على اللغة التي تعد أحد أهم أعمدة التفسير بالرأي، و[illegible] بين

(283) إسناده قوي على شرط مسلم. انظر ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد ابن حنبل. مج 4. ص:225. حديث رقم 2397.

(284) أبو يعلى، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، د. ت. المعجزة الكبرى القرآن. بيروت: دار الفكر العربي. ص: 406، 407.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الآيات، ويدعو إلى مزيد التدبر في كتاب الله ﷻ ودراسته فقال: ولو تتبعنا كلمات هذا الأسلوب كلمة كلمة لوجدنا أكثر من ذلك بكثير، فعليك بدراسة القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين دون مبالغة في التقدير.(285)

وبناءً على ما تقدم سيتركز هذا المبحث على دراسة منهجيته في التفسير باللغة العربية، إلى جانب قواعد التفسير الأخرى، والمناسبات بين السور والآيات، وذكر أمثلة للتوضيح على غرار المبحث السابق.

أولاً: المنهج اللغوي

ليس الغرض من [illegible] والأدبية، وبيان آراء العلماء واختلافاتهم، فمنهجية المفسر مختلفة تماماً عن [illegible] أنه سلك منهجاً واضحاً اجتنب فيه الخلاف وابتعد عن الاحتمال، وأنه اقتصر في [illegible] الجمهور، وفي البلاغة ما ظهرت براعته وتلألأت عبارته وتجنب الخلافات [illegible] الوضوح والتوضيح، وابتعد عن الاشارة والتلميح؛ ولهذا جاءت منهجية [illegible] واضحة، وبيان كيفية استفاد المفسر من اللغة في تفسيره للآيات القرآنية، فالغرض من هذا المبحث تسليط [illegible] الأخذ باللغة في تفسره، وإلى أي مدى اعتمد المفسر على اللغة في تفسيره، و[illegible] من عدة جوانب في اللغة العربية، محاولاً إبراز التفسير اللغوي عند المفسر.

1- دلالات الحروف:

(285) أبو مريق، أحمد عبد السلام. 2011. إرشاد الحيران إلى توضيحات القرآن. ج 2. ص 179، 180.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

حروف الجر

الباء: قال المفسر في تفسيره للبسملة: الباء في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ للملابسة، والملابسة هي المصاحبة، وهي الالصاق أيضا، فهذه مترادفات في الدلالة على هذا المعنى، كما في قوله تعالى ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾[286]، وقولهم: بالرفاء والبنين، وهذا المعنى هو أكثر معاني الباء وأشهرها[287].

"العطف"

مثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[288]، قال: هذه الآية متصلة بالعطف على قوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[289]، فإنهم لما أمروا بقتال عدوهم، وكان العدو أوفر منهم عدة حرب، نبههم إلى الاستعداد بإنفاق الأموال في سبيل الله، وسبيل الله طريقه، وهو العمل الموصل إلى مرضات الله وثوابه، فهو مجاز في اللفظ ومجاز في الاسناد.[290]

"الفاء"

(286) القرآن. المؤمنون 23: 20.

(287) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 29.

(288) القرآن. البقرة 2: 194.

(289) القرآن. البقرة 2: 189.

(290) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 357.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾[291]، "الفاء هنا ربطت ما بعدها بما قبلها؛ إذن فما دام الرسل جميعاً متضامنين متعاونين متعاهدين –بحكم طبيعة الرسالة– مع الله أن يصدق بعضهم بعضاً، وأن ينصر بعضهم بعضاً، لأن دين الله واحد تعاقدت عليه جميع الرسل... وفي هذا تعريض وتبكيت لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، حيث علموا هذا وتولوا عنه عناداً وحسداً وجحوداً واستكباراً".[292]

مثال آخر للفاء والواو في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾[293]، الفاء رابطة لجواب إذا وقوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ فذلكة الحساب، وفائدتها أن لا يتوهم متوهم أن (الواو) بمعنى (أو)، وأن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً.[294]

أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[295]، قال: وجاء التفريع في قوله: ﴿وَلْتَكُن﴾ بالواو دون الفاء تنبيها على أن مضمون هذا الكلام مقصود لذاته، بحيث لو لم يسبقه الكلام الذي قبله لكان هو حرياً بأن يؤمر به، فلا يكون مذكوراً لأجل التفريع عن غيره بالتبع، وتوضيح

(291) القرآن. آل عمران 3: 81.

(292) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 2. ص 180.

(293) القرآن. البقرة 2: 195.

(294) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1. ص 358.

(295) القرآن. آل عمران 3: 104.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

معنى هذا الكلام: أن التفريع بالفاء لا يظهر صورة أخرى، ولكن يوضح الصورة التي جاء مفرعاً لها فهو تلوين للصورة، أما التفرع بالواو يظهر صورتين؛ صورة قبل الواو وصورة بعدها، فتظهر منه صورتان مختلفتان، كما ترى في هذا الكلام، وهو﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ... الخ﴾[296]، وقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ... الخ﴾، فالصورة الأولى تظهر المؤمنين أمة مؤمنة تقية متمسكة بحبل الله متحدة قوية، والصورة الثانية تظهر المؤمنين أمة خيرة تحب الخير وتدعوا إليه غيرها، فهي متحركة نشطة تتحرك في مجال مزدهر مثمر!، تأمل هذين المنظرين بفهم دقيق، وعقل رشيق، سبحانك ربنا ما عرفنا جمال كلامك، ولا أحطنا بمقاصد مرامك!، فألهمنا الصواب وأرنا عجائب هذا الكتاب.[297]

"إنْ" الشرطية

مثال ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[298]، قال المفسر: "... وأتى بـ (إن) في تعليق هذا الشرط وهو كونهم في ريب، وقد علم في فن المعاني اختصاص (إن) بمقام عدم الجزم بوقوع الشرط، لأن مدلول هذا الشرط قد حف بكثير من الدلائل ما شأنه أن يقلع الشرط من أصله، بحيث يكون وقوعه مفروضاً، فيكون الإتيان بـ (إن) مع تحقق المخاطب عِلْمَ المتكلم بتحقق الشرط توبيخا على تحقق ذلك الشرط، كأن ريبهم في القرآن مستضعف الوقوع".[299]

---

(296) القرآن. آل عمران 3: 102.

(297) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 2. ص 212، 213.

(298) القرآن. البقرة 2: 22.

(299) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1. ص 82.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

"في" الدالة على الظرفية

مثال ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾، قال المفسر: وجيء بالإتيان بـ(في) الدالة على الظرفية، للإشارة إلى أنهم قد امتلكهم الريب، وأحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف، واستعارة (في) لمعنى الملابسة شائعة في كلام العرب.(300)

2- دلالات الأفعال

مثال تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَالذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝﴾(301)، قال: والمقصد من هذا استحضار الصورة الحاصلة من ذكر عيسى وأمه، مع الذين أرسل إليهم من قومه، وكيف كانت حاله معهم وحالهم معه، فلهذا عبر بالمضارع ولم يعبر بالماضي لكي تبقى ماثلة أمام تالي القرآن.(302)

وفي معنى دلالة الفعل الماضي "لِنتَ" عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾(303)، قال: والتعبير بالماضي في ﴿لِنتَ﴾ للدلالة على أنه وصف ثبت وتقرر وعرفه الناس جميعاً مِنْ خُلُقِهِ، وأن الله سبحانه وتعالى فطر على ذلك رحمة منه إلى الناس كافة.(304)

(300) المصدر نفسه جـ 1. ص 82.

(301) القرآن. آل عمران 3: 57.

(302) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 2. ص 174.

(303) القرآن. آل عمران 3: 159.

(304) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 2. ص 299.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

3- الإظهار والإضمار

عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[305]، فقال في قوله تعالى: ﴿فِي الْحَجِّ﴾ إظهار في مقام الإضمار، جيء به لإظهار كمال الاعتناء بشأنه، والإشعار بعلة الحكم.[306]

4- أسلوب التأكيد

مثاله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝﴾[307]، قال: الشواهد على تأكيد هذا الأسلوب: "**اللام**" الموطئة للقسم، و"**ما**" التي تفيد العموم، "**ونون التعظيم**"، وتنكير "الحكمة" للتعميم، والعطف بـ "**ثم**" وهي تفيد بعد الشيء، وكونه غاية في العظمة والرفعة، وتنكير "رسول" وهو يفيد العظمة وشمول هذه الصفة، ومن التوكيد "**لام القسم**"، "**ونون التوكيد**" الداخلة على الفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار وطول المدة، وتقرير الرسل على قبول ذلك الميثاق بالاستفهام بالقول، وتسميته إصرا لما فيه من القوة

(305) القرآن. البقرة 2: 196.

(306) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 358.

(307) القرآن. آل عمران 3: 80.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والشدة، إلى غير ذلك مما في الإقرار والإشهاد عليه من أنفسهم ومن الله منزل الكتاب والحكمة.(308)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾(309)، قال: جاء هذا الكلام لبيان حال الكفار بعد بيان أوصاف المؤمنين بما فيهم مؤمنوا أهل الكتاب، ليتضح مصير كل فريق، وهذا الكلام هنا يشمل الكفار كافة؛ لأنهم فاخروا بالأموال والأولاد، على طول العصور والأمكنة، فبين لهم أن الأموال لا تفيد، وأن الأولاد لا تبدئ ولا تعيد وليكون الحكم واضحاً جلياً حققه بالمؤكدات الخمسة: بيان، وموقع اسم الإشارة، والإخبار عنهم بأنهم أصحاب النار، وضمير الفصل، ووصفهم بالخلود، ولزيادة التوضيح كذلك ضرب لهم مثلاً محسوساً يراه الناس في كل زمان ومكان.(310)

5- الاستفهام

الاستفهام له أنواع كثير نمثل لبعض منها: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾(311)، استفهامُ إنكارٍ بمعنى إنكار الوقوع، لا بمعنى إنكار الواقع، والفرق بين الاستفهام الإنكاري بمعنى إنكار الوقوع، وبين الاستفهام الإنكاري بمعنى إنكار الواقع: استفهام إنكار الوقوع،

(308) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 2. ص 179.

(309) القرآن. آل عمران 3: 116.

(310) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج2. ص 236.

(311) القرآن. آل عمران 3: 101.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

هو استفهام عن شيء لم يقع فيستغرب وقوعه أو يستحيل، مثل قوله تعالى هنا: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ... ألخ﴾، ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾[312]، ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ... ألخ ﴾[313]، أما استفهام إنكار الواقع، فهو ما يكون على شيء واقع بالفعل، مثل قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾[314]، فهذا الكفر وقع، ولكنه غريب مستنكر مع وجود الدلائل، وكقولك لمن ضرب أباه مستنكراً ومستغرباً منه هذا الفعل: كيف تضرب أباك وقد رباك صغيراً؟![315]

6- الحقيقة والمجاز

أفرد المفسر لعلوم البلاغة مبحثاً خاصاً لكل آية قرآنية يشرع في تفسيرها، والأمثلة لهذا النوع كثيرة جداً، سيحاول الباحث ضرب بعض الأمثلة المتنوعة ليبين منهجية المؤلف.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[316]، قال: نهى عن أن يموتوا على حالة من الدين إلا على حالة الإسلام، والمطلوب هو الموت على الإسلام، بحيث يجب الثبات على الإسلام إلى الموت، وفي هذه البلاغة لا تخفى على صاحب

(312) القرآن. التوبة. 9: 7.

(313) القرآن. آل عمران 3: 85.

(314) القرآن. البقرة 2: 27.

(315) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 2. ص 207.

(316) القرآن. آل عمران 3: 102.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

العقل السليم، كقولك لمن تريد منه أن يخشع في صلاته: لا تصلي إلا وأنت خاشع، فهو أبلغ من قولك له: اخشع في صلاتك، وهو مجاز تمثيلي علاقته اللزوم.(317)

2- الاستئناف

قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾(318)، "فصل الكلام عما قبله؛ لأنه استئناف بياني، فإنه لما بين تعميم الأمكنة وأخرج منها المسجد الحرام في حالة خاصة كان السامع بحيث يتساءل عما يماثل البقاع الحرام؛ وهو الأزمنة الحرام-الأشهر الحرم- التي يتوقع حظر القتال فيها".(319)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(320) قال المفسر: استئناف ابتدائي للإعلام بتفاصيل مناسك الحج.(321)

---

(317) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 2. ص 211، 212.

(318) القرآن. البقرة 2: 193.

(319) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 357.

(320) القرآن. البقرة 2: 196.

(321) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 358.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

8- دلالة اسم الإشارة

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾[322]، قال اسم الإشارة يشير إلى ما تقدم من قصة مريم وعيسى، وما في اسم الإشارة من معنى البعد؛ لما في القصة من الغرابة، وما حصل فيها من الوهم وعدم الفهم، فجاءت هنا مفصلة واضحة.[323]

ثانياً: موقفه من المناسبات بين الآيات والسور

اعتمد المفسر كثيراً على المناسبات بين السور والآيات في تفسيره، وهو علم عظيم النفع في تفسير القرآن الكريم، ألف فيه العلماء قديماً وحديثاً.[324] والباحث هنا ليس معني بالخلاف الذي نشأ بين العلماء في جوازه من عدمه، بل ما هو معني ببيان منهج المفسر في الأخذ به في تفسيره، وذلك لضيق المقام.

وقد توسع المفسر في بيان المناسبات، فتارة بين السور، وتارة بين الآيات، وسيضرب الباحث أمثلة توضح ذلك.

---

(322) القرآن. آل عمران 3: 57.

(323) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 2. ص 174.

(324) لا يكاد يخلو كتاب من كتب علوم القرآن من مبحث أو باب خاص بالمناسبات بين الآيات والسور، بغية تعين على تفسير الكتاب العزيز، ويبين مدى ترابط سور القرآن الكريم، للدلالة على أنه من عند حكيم عليم، وفي هذا رد على من زعم وشكك في ترابط القرآن كالمستشرقين أعداء الإسلام، والمؤلفات في هذا العلم كثيرة فمن أقدمها كتاب البرهان في تناسب سور القرآن للإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم الثقفي ت 708 هـ، وأفرد له الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان باباً خاصاً لدراسة المناسبات، وكذلك من جاء بعدهم من العلماء المعاصرين: كالقطان في *مباحث في علوم القرآن*، والعديد من البحوث في المجلات العلمية مثل: مناسبات الآيات والسور، لأحمد حسن فرحات، والمناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم لـ: عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، والكثير من الدراسات الأخرى متاحةلمن يريد التوسع في هذا العلم.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- المناسبة بين السورة والتي قبلها

مثال ذلك في تفسيره لسورة لقمان حيث قال: ﴿الٓمٓ ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾[325]، فهذه السورة لها علاقة واتصال بالسورة التي قبلها من عدة وجوه:

أولاً-أنهما ابتدأتا بثلاثة حروف من حروف الهجاء: ألم.

ثانياً-لما قال في آخر السورة السابقة: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ۝٥٨﴾[326]، وكان فيه إشارة إلى إعجاز القرآن، ودل ما بعده إلى تمام السورة؛ على أن المشركين مصرون على كفرهم، أكد تلك المعاني في أول هذه السورة.

ثالثاً- في كلتا السورتين جملة من الآيات والدلائل من ابتداء الخلق وإعادته: فقد ذكر فيما تقدم قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾[327]، وذكر هنا قول الله تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ۝٢٨﴾[328]، وكلاهما يفيد سهولة البعث.

---

(325) القرآن. لقمان 31: 1.

(326) القرآن. الروم 30: 58.

(327) القرآن. الروم 30: 26.

(328) القرآن. لقمان 31: 27.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

رابعا-اشتركت السورتان في توضيح أدلة التوحيد، والحث على التمسك بدين الإسلام وهو دين الفطرة ودين الحق والعروة الوثقى، والتنفير من الشرك والمشركين، وغير ذلك مما يظهر للباحث المتدبر لآيات الذكر الحكيم.(329)

وعند تفسيره لسورة الواقعة تعرض للمناسبة بينها وبين السورة التي قبلها فقال بعد ذكر قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾(330)، فسورة الواقعة لها مناسبة واضحة بعلاقتها بسورة الرحمن؛ في أن كلاً منهما ذكر فيها حال المؤمنين وحال الكافرين، وما لهما من الثواب والعقاب، وفصل في الواقعة ما أجمل في سورة الرحمن، حيث قسم الناس إلى ثلاثة أقسام: سابق بالخيرات ومقتصد وظالم لنفسه السابقون وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال.(331)

وعلى هذا المنهاج سار المفسر فقد تتبع السور ونظر في المناسبات بينها(332)، واستخرج منها بعض الحكم والتوجيهات القرآنية، ولا شك أن هذا مما يعين على تفسير القرآن الكريم؛ لأنه مترابط متناسق يفسر بعضه بعضاً، ولا غرابة فهو صادر من مشكاة واحدة، من عند عليم حكيم.

2- المناسبة بين الآيات فيما بينها

كذلك ينظر المفسر في العلاقة بين الآيات القرآنية، ليستخرج الحكمة من ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ

(329) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 9. ص 358.

(330) القرآن. الواقعة. 56: 1، 2.

(331) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 11. ص 304.

(332) في بعض الأحيان يسهب المفسر كثيراً في بيان المناسبة بين السورتين، كما في بيانه للمناسبة بين سورة النساء وآل عمران؛ فقد تجاوز صفحة كاملة في حديثه عن المناسبة بين السورتين، أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج2. ص 397، 398.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[333]، حيث قال: "ربط هذا الكلام بما قبله لمناسبة ما وقع من بني إسرائيل وما وقع لابني آدم، فإن في القصتين عدم الرضا بما قسم الله تعالى؛ فبنوا إسرائيل عصوا أمر رسولهم إياهم بالدخول إلى الأرض المقدسة، وأحد ابنيْ آدم عصى حكم الله تعالى بعدم قبول قربانه لأنه لم يكن من المتقين، وفي كلتيهما جرأة على الله بعد المعصية، فبنوا إسرائيل قالوا: "اذهب أنت وربك"...إلخ، وابن آدم قال: "لأقتلن الذي تقبل الله منه"، وفي هذا تماثل كامل من حيث التعدي على حكم الله، ونجد في الأسلوب التضاد من حيث إن في إحداهما إقداماً مذموماً من ابن آدم، وإحجاماً مذموماً من بني إسرائيل، وفي إحداهما اتفاق أخوين —موسى وهارون– على امتثال أمر الله، وفي الأخرى اختلاف أخوين بالصلاح والفساد"[334].

وكما في سورة الحشر عند حديثه عن الآيات الثلاث وهي قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[335] وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا

(333) القرآن. المائدة 5: 29.

(334) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 3. ص 321.

(335) القرآن. الحشر 59: 8.

(336) القرآن. الحشر 59: 9.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾(337)، فقال في المناسبة بين هذه الآيات الثلاث:" أنها استوعبت جميع المؤمنين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم في كل زمان ومكان، فهذه هي قافلة الإيمان السائرة عبر الزمان".(338)

ثالثاً: الاستشهاد بالشعر والأمثال العربية والشعبية

مع بداية ظهور التفسير بدأ الاهتمام بالشعر في فهم المفردة القرآنية ودلالتها اللغوية، وذلك نظرا لما يتضمنه الشعر من ثراء لغوي، ولما يحتويه من خصائص الأسلوب العربي المبين، فقد كان المفسرون من علماء اللغة الذين يحرصون على حفظ الشعر وقراءة الدواوين ودراستها حتى ذكر الواحدي أنه درس اللغة ودواوين الشعراء على شيخه العروضي (339).

وقد استعان الصحابة ﷺ بعد الرسول ﷺ، والتابعون من بعدهم، بشعر العرب القديم الموروث من الجاهلية والاستشهاد به في تفسير آيات القرآن، ومعرفة معانيها وفهم غرائبها التي تشكل على عامة الناس من المسلمين، وقد نقل جلال الدين السيوطي، عن أبي بكر بن الأنباري قوله: قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر (340).

---

(337) القرآن. الحشر 59: 10.

(338) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 11. ص 395.

(339) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد. 1430 هـ. *التَّفْسِيرُ البَسِيْط*. الرياض: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد

بن سعود الإسلامية. ج1. ص37. هاني إسماعيل محمد. 2011. "دور الشعر العربي في تفسير القرآن الكريم". مجلة الوعي الإسلامي. ديسمبر 557.

(340) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. 1394هـ/ 1974 م. *الإتقان في علوم القرآن*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج 2. ص67. إلهام السوسي العبدلاوي. 1999م. "بداية تفسير القرآن الكريم والاستشهاد عليه بالشعر العربي القديم". *مجلة دعوة الحق*. ديسمبر 348.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وقام حَبْرُ الأمة ابن عباس رضي الله عنه في ميدان الاستشهاد بالشعر على غريب القرآن بجهد متميز، وكان له رضي الله عنه مجالس واسعة تعقد لهذا الغرض، ويَفِدُ إليه الناس من كل حدب وصوب، ويروى عنه عكرمة قوله: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب.(341)

وسار على نهجهم الشيخ أبو مزيريق في تفسيره، فجاء منهجه وسطاً معتدلاً في الأخذ بالشعر للاستعانة به على فهم كلام الله عز وجل الذي نزل بلسان عربي مبين فلا مجال لفهمه إلا باللغة العربية، وانطلاقاً من هذا الرأي نجد المفسر يستشهد بالشعر وكلام العرب، بل وزاد عليه الأمثال المتداولة بين عامة الناس(342) في هذا العصر؛ تقريباً وتبسيطاً للمعنى القرآني لعامة الناس، وجاء الاستشهاد في مواضع من هذا التفسير، لعل الأمثلة توضح ذلك.

-بعض الأمثلة على استشهادهم بالشعر

لا شك في أن الحاجة ماسة لفهم القرآن الكريم وتفسيره على الوجه الصحيح إلى فهم لغة العرب، فقد أنزل الله عز وجل هذا الكتاب باللغة العربية، فمن يتصدى لتفسير الكتاب العزيز عليه أن يُلم بلغة العرب، وأن يتمكن منها قبل أن يخوض في تفسير القرآن، فاللغة العربية من أهم العلوم التي تعين على الفهم الجيد للقرآن الكريم، ويعد الشعر العربي من أهم مصادر اللغة العربية، وقد فهم هذا المعنى العلماء قديماً وحديثاً فلم تخل كتب التفسير وغريب القرآن من الشعر والشواهد الشعرية، فقد قال ابن عباس —

(341) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير. 1351هـ. *غاية النهاية في طبقات القراء*. مكتبة ابن تيمية. جـ 1. ص426. و الخراط. أحمد بن محمد. *عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم*. الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. جـ 1. ص39.

(342) استعانة المفسر الى بعض الأمثال باللغة العامية، لا يقدح في تفسير القرآن الكريم باللغة العربية؛ لأنها كانت مواضع قليلة جداً من هذا الكتاب، ولا تعدوا كونها من "مُلَح العلم" كما يقولون.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

رضي الله عنهما- الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه ، ونقل عنه أيضاً قوله: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"(343)، والشعر لم يقف دوره على بيان المشكل والغريب، بل تعداه إلى الكشف عن إعجاز القرآن وبيان أسرار الأسلوب القرآني (344).

وبناء على ما تقدم فقد سار الشيخ أبو مزيريق على هذا النهج واستعان بالشعر واستشهد به في غير موضع من تفسيره، والأمثلة التالية تبين ذلك:

1-يأتي ببيت الشعر أحيانا لدعم معنى ساقه وفهمه من الآية، كما هنا عند حديثه عن أسماء الله ﷻ ونقده للفلاسفة وعلماء الكلام في تعقيدهم شرحها ومعناها، لأن الله ﷻ لم يجعلها بالصورة التي سلكوها من جدالٍ وخلاف في معناها، مما أدى بهم إلى تفسيق وتكفير بعضهم، فاستدل ببيت من الشعر للبوصيري رحمه الله.

لم يمتَحِنَّا بما تَعيَا العقول به ... حِرصاً علينا فلم نرتَبْ ولم نَهِمِ(345)

(343) السيوطي. *الإتقان في علوم القرآن*. جـ 2. ص 67.

(344) عماد الدين مخلوف. "دور الشعر في تفسير القرآن". *al-nur journal*. إقليم باتاني-تايلاند: Fatoni University. العدد 6 لسنة 2009 م. ص 42.

(345) إبراهيم الباجوري. 1993م. "قصيدة البردة". *البردة للإمام البوصيري*. القاهرة: مكتبة الآداب. ص 7.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وفي نفس السياق روى بيتين للإمام علي بن أبي طالب ﷺ في تفسيره لقوله تعالى:﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[346]، فبعد حديثه عن الظلم وعاقبته قال:

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مقتدراً ... فالظلمُ آخره يأتيك بالندمِ

نامَت عيونكَ والمظلومُ منتبهٌ ... يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تنمِ[347].[348]

ومن هذا النوع أيضاً عند حديثه عن حرمة الخمر، فبين أن العرب قبل الاسلام الذين كانوا على الحنفية، دين إبراهيم عليه السلام حرموها أيضاً، واستشهد على هذا ببيت شعر جاهلي:

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي ... كَذَاكَ الْإِثْمُ تَذْهَبُ بِالْعُقُولِ[349].

2-يستشهد بالشعر لبيان معنى كلمة في اللغة، كما في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[350]، الوهن الضعف، وأصله ضعف الذات،

---

(346) القرآن. البقرة 2: 123.

(347) عبد العزيز الكرم. 1988م. *ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب* ﷺ. د. م: د. ن. ص184.

(348) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام.2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 267.

(349) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على. 1414 هـ. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر. ط: الثالثة. ج 12. ص6. وأبو مزيريق، أحمد عبد السلام.2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 394.

(350) القرآن. آل عمران 3: 139.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

كالجسم في قوله تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي...﴾(351)، والحبل في قول زهير: فأصبح الحبل منها واهناً خلقاً، والمراد به هنا هو خور العزيمة وضعف الإرادة.(352)

وأما في حديثه عن معاني "لو"، فجاء ببعض الأبيات الشعرية داعماً بها قوله، فقال: "لو على ستة أقسام: .... والثاني من أقسام لو أن تكون حرف شرط في المستقبل، إلا أنها لا تجزم، كقوله:

وَلَو تُلتَقى أَصداؤنا بعد مَوْتِنا...وَمن دون رَمْسينا من الأرضِ سَبْسَبُ

لَظَلَّ صَدَى صَوْتي وَإِن كنتُ رِمَّةً...لصوتِ صَدَى لَيْلَى يَهَشّ ويَطربُ(353)

وساق بعض الأبيات الأخرى.(354)

3-يستشهد بالشعر كدليل على معنى ما، كما في حديثه عن معنى الزعم في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ... ﴾(355)، فقال: "الزعم الخبر الكاذب، أو ما كان مشوباً بالخطأ، أو بحيث يتهمه الناس بذلك، ويستعمل الزعم في الخبر المحقق بالقرينة كقوله:

زعَمَ العَواذِلُ أنَّني في غَمْرةٍ...صدقوا ولكن غَمْرتي لا تَنْجلي(356)

---

(351) القرآن. مريم. 19: 3.

(352) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام.2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 2. ص 260.

(353) إميل بديع يعقوب. 1417هـ - 1996م. *المعجم المفصل في شواهد العربية*. بيروت: دار الكتب العلمية. جـ 1. ص 214.

(354) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام.2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1. ص 394.

(355) القرآن. النساء 4: 59.

(356) العواذل جمع عاذلة، يراد هنا جماعة عاذلة بدليل قوله صدقوا، والغمرة الشدة. تنجلي: تنكشف. التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي. 1996م. *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. (تحقيق) علي دحروج. (ترجمة) عبد الله الخالدي. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. جـ 6. ص476.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فقوله صدقوا هو القرينة، ومضارعه "يزعم" مثلث العين والأفصح فيه الفتح".(357)

الأمثال العربية والشعبية

مما تميز به تفسير إرشاد الحيران استشهاد مؤلفه أحياناً ببعض الأمثال السائرة بين الناس تقريباً للفهم، وليس استشهاداً بها على اللغة، وإنما يأتي بها لتوضيح فكرة ما، وعلة كل حال لم يكثر منها وإنما ضربها في بعض المواضع من تفسيره.

-دراسة تطبيقية لضرب الأمثال عند الشيخ أبي مزيريق

أ- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (358)، قال: "هذا توبيخ شنيع ولوم فظيع على ترك الحبل على الغارب -كما يقولون- لأولئك الكفين المفسدين دون ردع من عالم أو أمير (359).

ب- وفي موضع آخر من تفسيره عندما يقرر أن العلماء والناصحين هم قادة الأمة وعليهم أن يبينوا للناس وأن يتقدموهم، أما إذا خالف العلماء هذا النهج وأصبحوا تابعين لرغبات الناس وأهوائهم، قال: "وهذا تعليم عظيم من القرآن يلزم من يحق الأمم أن تكون عائرة في طريق إرشاد الدين الحق الذي جاءت به الرسل والمربون من العلماء والهداة، وأنها إذا أهملت علمائها وهداتها إلى مسايرة أهوائها، بحيث يُعْصَوْنَ إذا ما دعوا إلى ما يخالف هوى الأقوام، فقد حق عليهم الخسران كما حق على اليهود في كل زمان ومكان!؛ لأن في ذلك قلباً للحقائق، ومحاولة انقلاب التابع

(357) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 3. ص 54.

(358) القرآن. المائدة. 5: 65.

(359) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 3. ص 379.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

متبوعاً والقائد مقوداً، وأن قادة الأمم وعلماءها ونصحاءها إذا سايروا الأمم على هذا الخلق كانوا غاشين لهم وزالت فائدة علمهم وحكمتهم، واختلط الرعي بالهمل، والحابل بالنابل [360] كما يقال"[361].

يقصد المفسر بهذا المثل "اختلط الرعي بالهمل، والحابل بالنابل" توضيح المعنى الذي ساقه من أن مثل هذه الحالة وهي حالة عدم طاعة الناس لولاة أمورهم، وأن عامة الناس إذا جاءهم أمر يخالف هواهم تركوه، وهذا يكون زمن الفتنة واختلاط الأمور، قال ابن منظور في معنى هذا المثل: "وقد يضرب هذا مثلا للقوم تتقلب أحوالهم ويثور بعضهم على بعض بعد السكون والرخاء"[362].

يتبين مما سبق أن المفسر يأتي بالأمثال لقصد توضيح ودعم الفكرة التي أتى بها؛ تقريباً للأفهام وزيادة في التوضيح، وهي قليلة في كتابه جاء بها في بعض المواضع.

المبحث الثاني: مصادره وطريقته في التفسير

المطلب الأول: مصادره

ذكر المفسر في مقدمته أنه حرص على تتبع كتب المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين، وضرب مثالاً للمتقدمين بتفسير الطبري –رحمه الله– ومثاله للمتأخرين بتفسير ابن عاشور –رحمه الله–، وبين أنه جمع ما تيسر له جمعه منها، من مباحث لغوية، وأساليب بلاغية، وأعاريب نحوية، وأحكام وتوجيهات شرعية، ومع أنه بين استفاد من العديد من الكتب في التفسير أولى بعض التفاسير اهتماماً كبيراً، وتأثر بأصحابها

---

(360) الحابل صاحبُ الحِبالة التي يُصَاد بها الوحشُ، والنابل: صاحب النَّبْل يعني الذي يَصِيد بالنبل. الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم. د ت. مجمع الأمثال. (تحقيق) محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت، لبنان: دار المعرفة. ج 1. ص 178.

(361) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 3. ص 403.

(362) ابن منظور. *لسان العرب*. ج 11. ص 138.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ومنهجيتهم، واكتفى بهذه الإشارة في مقدمته، فلم يشر في طيات كتابه عند النقل من التفاسير إلا مرة أو مرتين أشار فيها لمن نقل منه، وبعد النظر في مصادر المؤلف تبين للباحث أنه اعتمد اعتماداً كبيراً على تفسيرين معاصرين وهما تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وفي ظلال القرآن للسيد قطب، فقد أولاهما اهتماماً كبيراً وكثيراً ما ينقل عنهما، ومع هذا فلم يهمل غيرهما من كتب التفسير الكثيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر ينقل عن: أبي السعود في إرشاد العقل السليم، والنيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان، والمراغي في تفسيره، ورشيد رضا في المنار، والزحيلي في التفسير المنير.

المطلب الثاني: الوصف العام للكتاب

1- يجمع المفسر الآيات ذات الموضوع الواحد مع بعض في مبحث واحد، ثم يضع له عنواناً مناسباً، ويختار هذه العناوين بعناية، وهي تعبر عن المعنى العام للآية كما يفهمه المفسر، وسار على هذه المنهجية في تفسيره كله، فمثلاً عند تفسيره للبسملة عنون للمبحث: "افتتاحية القرآن الكريم"، وأيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (363) وما بعدها من الآيات إلى الآية رقم (28) وضع لها عنوان سماه "تهيئة المقام لتلقي جميع الأنام"، وفي موضع آخر يضع عنواناً: "توجيهات الرسول بهذه الحجج الفاصلة إلى دعوة أهل الكتاب الحاسمة" في الآيات بين (90-57) من سورة آل عمران، وهكذا في كتابه كله استمر على هذا النحو.

2- يقدم بمقدمة صغيرة لكل سورة يذكر فيها مكان النزول أي هل هي مكية أو مدنية، ثم يردف ذلك ببيان عدد آياتها، ولم يلتزم بهذا في كل سور القرآن.

---

(363) القرآن. البقرة 2: 20.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

3- التزم في تفسيره بالرسم القرآني الموافق لرواية قالون عن نافع المدني برسم الداني[364]، ويرى الباحث أن التزام المفسر برواية قالون يرجع لأمرين: الأول أنها الرواية التي يقرأ بها أهل ليبيا، والثاني: أنها قراءة أهل المدينة زمن الإمام مالك –رحمه الله- واختارها الإمام مالك –رحمه الله-، فقد روي عنه قوله قراءة أهل المدينة سنة قيل له قراءة نافع : قال نعم، وقراءة نافع هي القراءة الغلبة على أهل المغرب العربي بروايتيها قالون وورش، ويغلب على ظن الباحث أن هذين هما السبب في اتباع المفسر لقراءة الإمام نافع –رحمه الله-. [365]

4- بعد ذكره لعنوان السورة أو الآية وكتابته السورة أو الآيات المراد تفسيرها؛ يأتي مبحث "المفردات اللغوية" وهو مبحث مهم جداً في بيان معاني الكلمات يسهل فهم الكتاب وتحليل نصوصه، ولو جمع هذا المبحث وحده لصح أن يكون تفسيراً ميسراً مختصراً للقرآن الكريم، والتزم المفسر بهذا المبحث في كل سورة أو آية يتعرض لتفسيرها.

5- ثم يأتي مبحث "الإعراب" الذي نأى به عن الخلاف والاختلاف، فجاء على ما عليه جمهور أهل اللغة في المشهور عنهم.

---

(364) نسبة لأبي عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي، المعروف في زمانه بأبي الصيرفي أحد القراء المعروفين من أهل الأندلس، توفي رحمه الله بدانية، –وهي مدينة بالأندلس ينسب إليها– يوم الاثنين في النصف من شوال سنة أربع وأربعين وأربع مائة. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك. 1374 هـ - 1955 م. *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*. صححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني. مكتبة الخانجي. الطبعة: الثانية. ص 385. والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. 1417 هـ-1997م. *معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار*. بيروت: دار الكتب العلمية. ص 226.

(365) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. 1417 هـ-1997م. *معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار*. بيروت: دار الكتب العلمية. ص 64. وابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف. د ت. *غاية النهاية في طبقات القراء*. مكتبة ابن تيمية. ج 2. ص 331.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

6- ثم يأتي بعد ذلك مبحث "الأسلوب البلاغي" وهذا المبحث فيه من الفوائد والاستنباطات الكثير، فقد أجاد فيه وأفاد، واختار الألفاظ والعبارات الرائعة، قال عنه في مقدمته: ومن البلاغة ما ظهرت براعته وتلألأت عبارته (366).

7- ثم يأتي بعد ذلك مبحث "خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام" وهذا خاتمة مباحث الكتاب وأهمها؛ فهو يأتي نتيجة لما سبقه من مباحث فبعد بيانه لمعاني المفردات وإعراب لجمله وكلماته، ونظره في الأسلوب البلاغي؛ يسطر ما استنبطه وفهمه من الآيات القرآنية في هذا المبحث، مع ابتعاده عن الخلاف والاحتمال؛ فهو يميل إلى الوضوح ويأخذ بما قوي دليله وظهر، وقد بين ذلك في مقدمته (367).

المطلب الثالث: مميزاته

امتاز تفسير "إرشاد الحيران" بعدة مميزات لعل من أبرزها:

1- حسن التنظيم والإخراج فقد سار فيه مؤلفه على نفس الخطة من بدايته إلى منتهاه.

2- خلوه من الإسرائيليات والموضوعات التي قل ما يخلو منها كتاب تفسير، فقد ابتعد عنها وحذر منها واهتم بالغرض القرآني من القصص ليحقق ما أراده الله منها بضرب المثل والعبرة للناس، فتتبع الدقائق في القصص والتفاصيل التي لا طائل منها ولو كانت مقصودة ما أهملها النص القرآني.

---

(366) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1. ص 8.

(367) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1. ص 8.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

3- الوضوح وعدم الغموض والتعقيد وبعده عن المسائل الخلافية وكثرة الاحتمالات، فقد قال في مقدمته: "توخيت الوضوح والتوضيح، وابتعدت عن الإشارة والتلميح"، ففي مبحث معاني المفردات لم يتوسع ويطيل كثيراً في تتبع المفردة والبحث لها عن المعاني، ولكنه جاء بمنهج وسط، وكذلك الإعراب أخذ بالوجه المشهور دون تتبع للخلافات، واهتم في البلاغة بإظهار جمال النص القرآني، ثم يخرج من كل هذا بخلاصة للمعنى العام والأحكام، فجاء تفسيره بأسلوب واضح وعبارة سليمة غير معقدة يسهل على الناس فهمها.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المبحث الثالث: منهج أبي مزيريق في تفسير آيات القصص القرآني، وموقفه من رواية الإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم.

للشيخ أبي مزيريق منهجه في تفسيره لآيات القصص؛ فقد نأى بنفسه بعيداً عن الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة التي وجدت في بعض الكتب، ولم تسلم منها بعض كتب التفسير، ولكن كان تركيزه حول المغزى من القصة والمثل في القرآن الكريم، ومن هذا المنطلق ركز اهتمامه بالموعظة والعبرة من القصة القرآنية دون الغوص في تفاصيل تذهب بالمقصد الإلهي من تلك القصة، فكان منهجه قائماً على فهم القصة وتلك ما أراده القرآن من تفاصيل.

المطلب الأول: في تعريف الإسرائيليات، وبيان حكمها

لفظ الإسرائيليات جمع مفرده إسرائيلية وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر[368]، وهذا اللفظ يطلقه علماء التفسير والحديث على ما هو أوسع وأشمل من أخبار اليهود وقصصهم، فيطلقونه على كل ما وصل إلى كتب التفسير والحديث من قصص وأخبار قديمة مصدرية في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، بل زاد بعض المفسرين والمحدثين في معنى الإسرائيليات كل ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم[369].

-حكم رواية الإسرائيليات

للإسرائيليات ثلاثة أقسام باعتبار موافقتها لشرعنا من عدم موافقتها له:

---

(368) الذهبي، محمد حسين. 1990 م. *الاسرائيليات في التفسير والحديث*. القاهرة: مكتبه وهبه. ص 13.

(369) المصدر نفسه ص 13، 14.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

القسم الأول وهو الموافق لشرعنا: مثاله ما روى أبو سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَكْفَؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ، أَبَا الْقَاسِمِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ- قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالَامُ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: «ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا»(370).

هذا القسم تجوز روايته، ويستدل لجواز روايته بعدة أدلة منها: قوله تعالى ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾(371)، والشاهد من هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فقد أباح الله تعالى لنبيه ﷺ سؤال أهل الكتاب والأمر له ﷺ أمر لأمته ما لم يقم دليل على الخصوصية(372)، ومن السنة قوله ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا

---

(370) البخاري. *صحيح البخاري*. كتاب الرقاق. باب يقبض الله الأرض يوم القيامة. جـ 8. ص 108. حديث رقم 6520. والنيسابوري مسلم بن الحجاج. د ت. *صحيح مسلم*. كتاب صفة يوم القيامة والجنة والنار. باب نزل أهل الجنة. جـ 4. ص 2151. حديث رقم 2792.

(371) القرآن. يونس 10: 94.

(372) لا يفهم من هذه الآية شكه ﷺ في ما أنزل إليه، وإنما المعنى : فإن كنت أيها الرسول الكريم - على سبيل الفرض والتقدير — في شك مما أنزلنا إليك من قصص حكيم كقصة موسى ونوح وغيرهما ﴿فَاسْأَلِ الذين يَقْرَءُونَ الكتاب مِن قَبْلِكَ﴾ وهم علماء أهل الكتاب، فإن ما قصصناه عليك ثابت في كتبهم، فليس المراد من هذه الآية ثبوت الشك للرسول ﷺ وإنما المراد على سبيل الفرض والتقدير، لا على سبيل الثبوت، قال ابن كثير : " قال قتادة بن دعامة : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : " لا أشك ولا أسأل ". وشبيه بهذه الآية قوله ﷻ: في شأن عيسى عليه السلام: ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتخذوني وَأُمِّيَ إِلهين مِن دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ . . .﴾ فعيسى عليه السلام يعلم علم اليقين أنه لم يقل ذلك، وإنما يفرض قوله فرضا، ليستدل عليه بأنه لو قاله لعلمه الله ﷻ منه. طنطاوي، محمد سيد. 1998 م. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. جـ 7. ص 131.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[373]. وسائر النصوص المشابهة.

أما القسم الثاني وهو المخالف لشرعنا، فمن أمثلته ما ورد في أخبار بني إسرائيل أن ابنة فرعون هي التي تبنت موسى عليه السلام،[374] وهذا مخالف لصريح القرآن من أن زوجة فرعون هي التي تبنته، الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾[375]، ومنه كذلك ما ورد في سفر الخروج الإصحاح الثاني والثلاثين: من قولهم بأن هارون عليه السلام هو من صنع العجل لبني إسرائيل[376]، وما ورد في القرآن خلاف ذلك، من أن الذي صنع العجل لبني إسرائيل اسمه السامري، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ۝٨٧ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ۝٨٨﴾[377].

وهذا القسم لا تجوز روايته، ولا يحتمل أن تحمل عليه النصوص الدالة على جواز الرواية عنهم، لأن رواية المكذوب لا تجوز إلا إذا اقترنت ببيان كذبها[378]، وعلى هذا القسم تحمل النصوص الواردة في ذمهم وأنهم كتموا الحق وحرفوا وزوروا كتبهم، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ

(373) البخاري. *صحيح البخاري*. كتاب أحاديث الأنبياء. باب ما ذكر عن بني إسرائيل. ج 4. ص 170. حديث رقم 3461.

(374) الذهبي، محمد حسين. 1990 م. *الاسرائيليات في التفسير و الحديث*. القاهرة: مكتبه وهبه. ص 31.

(375) القرآن. القصص. 28: 8.

(376) الذهبي، محمد حسين. *الاسرائيليات في التفسير و الحديث*. ص 31.

(377) القرآن. طه. 20: 86، 87.

(378) مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين. 2002 م. *الموسوعة القرآنية المتخصصة*. مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ص 296.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[379]،

وقوله ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾[380]،

ومن السنة قوله ﷺ «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله، محضا لم يشب، وقد حدثكم الله: أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا، وكتبوا بأيديهم الكتب، قالوا: هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمنا قليلا، أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[381].

أما القسم الثالث وهو السكوت عنه لمثاله مارواه ابن كثير عن السدي: أنه كان رجل من بني إسرائيل مكثرا من المال وكان له ابنة، وكان له ابن أخ محتاج، فخطب إليه ابن أخيه ابنته، فأبى أن يزوجه، فغضب الفتى، وقال: والله لأقتلن عمي، ولآخذن ماله، ولأنكحن ابنته، ولآكلن ديته. فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل، فقال: يا عم انطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم، لعلي أن أصيب منها فإنهم إذا رأوك معي أعطوني، فخرج العم مع الفتى ليلاً فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح جاء إلى السبط يطلب عمه كأنه لا يدري أين هو، فلم يجده، فانطلق نحوه، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه، فأخذهم وقال: قتلتم عمي، فأدوا إلي ديته فجعل

---

(379) القرآن. البقرة 2: 74.

(380) القرآن. النساء 4: 45.

(381) البخاري. *صحيح البخاري*. كتاب التوحيد. باب قول الله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ . ج 9. ص 153. حديث رقم 7523.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يبكي ويحثو التراب على رأسه، وينادي: واعماه، فرفعهم إلى موسى، فقضى عليهم بالدية، فقالوا له: يا رسول الله، ادع الله لنا حتى يبين لنا من صاحبه، فيؤخذ صاحب الجريمة فوالله إن ديته علينا لهينة، ولكنا نستحيي أن نعير به[382]، فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾[383] فإن بعض العلماء، كابن تيمية والدكتور محمد الذهبي يقولان بجواز روايته[384]، استناداً لما فهموه من الإباحة في حديث "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[385] "ولكن بعضاً من العلماء رفضوا رواية هذا القسم، وقالوا كما توقفنا في تصديقه نتوقف في روايته، فأي تصديق لرواياته التي لم نقرأها بالقرآن الكريم، فيتوهم القارئ أن فيها تفصيلا لما أجمل، وتبيينا لما أبهم؟ وعلى رأس هؤلاء الرافضين الدكتور محمد أبو زهو، والشيخ أحمد شاكر، والدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فائد وهو رأي في غاية القوة، وأحق أن يتبع، سداً للذريعة، وصيانة لصورة الإسلام العظيم، وكتابه الحكيم"[386].

المطلب الثاني: موقفه من رواية الإسرائيليات

نهج المفسر في تفسيره للآيات التي تروي قصص الأمم الغابرة منهجاً واضحاً يتمثل في الوقوف على ما جاء في القرآن، وأخذ العبرة والموعظة منه، دون سرد قصص الأولين من اليهود والنصارى، لأنها روايات

---

(382) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. 1999 م. *تفسير القرآن العظيم*. المحقق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. جـ 1. ص 296.

(383) القرآن. البقرة 2: 71.

(384) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. *مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية*. ص 42. والذهبي، محمد حسين. الاسرائيليات في التفسير والحديث. ص 49.

(385) سبق تخريجه.

(386) أحمد محمد شاكر. 2005 م. *عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم*. المنصورة: دار الوفاء. جـ 1. ص 14. وأبو زهو، محمد محمد أبو زهو. 1984 م. الحديث والمحدثون. الرياض: شركة الطباعة العربية السعودية. ص 191. ومجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين. *الموسوعة القرآنية المتخصصة*. ص 297.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

غير موثوقة خالية من الأسانيد التي تثبت صحتها، وأن التأثير والعبرة من القصص لا يكون من القصص الخيالية والمبالغ فيها؛ وإنما يكون من القصص الحقيقية والقرآن عبر عنها بأحسن القصص كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝﴾(387)، وتأكيداً لهذا المعنى قال الله ﷻ في نهاية السورة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾(388)، قال المفسر رحمه الله في تفسير هذه الآية: جملة "ما كان حديثاً يفترى" تعليل بجملة "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب" فهو خبر صادق مطابق للواقع، وما هو بمقتضية خلافه، ووجه التعليل أن الاعتبار بالقصة لا يحصل إلا إذا كان أمراً عن خبر واقع؛ لأن ترتيب الآثار على الواقع ترتيب طبيعي، فمن شأنها أن تترتب أمثالها على أمثالها، كلما حصلت في الواقع... وذلك بخلاف المتحصل الموضوعة بالخيال والتكاذيب فإنها لا يحصل بها اعتبار، لاستبعاد السامع وقوعها، لأن أمثالها لا يعهد، مثل أساطير الخرافات وأحاديث الجن والغول(389).

ولكي نقف على موقفه من الإسرائيليات نضرب بعض الأمثلة من تفسيره، وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾(390) بعد أن تكلم في معنى الآية قال: ومن هنا نعلم علماً صحيحاً، ونقول قولاً صادقاً: إن نص القرآن في هذا الموضوع هو النص الذي يعتمد عليه ويوثق به توثيقاً كاملاً، ويجب على

(387) القرآن. يوسف. 12: 3.

(388) القرآن. يوسف. 12: 111.

(389) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 6، ص 270.

(390) القرآن. البقرة 2: 30.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

جميع الباحثين والدارسين لتاريخ الإنسان أن يعتمدوا على نص القرآن، ولا يسلموا لقول الغير إلا بعد التمحيص والاختيار الدقيق، من مطابقته ومسايرته لطريقة القرآن، وأن يتركوا ما جاء في بعض التفاسير من الخرافات التي جاءت إليها من عادات وتقاليد الشعوب التي لا يسندها عقل ولا نقل، مثل ما جاء في الإسرائيليات وغيرها من حكايات الأمم، وهذه الخرافات والحكايات كثيرة جداً في كتب التفسير القديمة، كما ظهر لكثير من الباحثين والعلماء المخلصين الراسخين.(391)

مثال آخر عند حديثه عن قصة أصحاب الكهف قال: وفي القصة روايات شتى، وأقاويل كثيرة؛ فقد وردت في بعض الكتب القديمة وفي الأساطير بصور شتى، ونحن نقف فيها عند حد ما جاء في القرآن الكريم فهو المصدر الوحيد المستيقن، ونطرح سائر الروايات والأساطير التي اندست في التفسير بلا سند صحيح، وبخاصة أن القرآن الكريم قد نهى عن استفتاء غير القرآن فيها(392)، وعن المراء فيها والجدل رجماً بالغيب.(393)

وأيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾(394)، في تفسير هذه الآية قال: وللنص لم يعن العلماء بذواتهم وأنسابهم ومكانهم

(391) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1، ص 108.

(392) إشارة لقوله تعالى: ﴿۞ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً ﴿٢٢﴾﴾ القرآن. الكهف. 18: 22.

(393) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 7، ص 260.

(394) القرآن. البقرة 2: 241.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وزمانهم، فلا ينبغي لمتتبع البيان أن يجري وراء التأويلات، أو ما قيل في ذلك من خرافات الإسرائيليات.[395]

المطلب الثالث: منهجه في رواية القصص القرآني

يمكن تلخيص منهجية المفسر في سرده للقصص القرآني، على أنه يركز على استخراج العبرة والفائدة من القصة، دون التعرض لذكر وسرد قصص خيالية لا فائدة منها، بل هي إسرائيليات وأحاديث ضعيفة، كما في سرده لقصة الذي حاج ابراهيم في ربه، بينها على مقتضى ما جاء في كتاب الله تعالى؛ ثم قال: والذي حاج إبراهيم كافر متكبر جبار ولم ينص القرآن على اسمه، بل بين وصفه بما له وما فيه، ويبين المفسر حقيقة هذا الرجل وأنه منكر لوجود الله تعالى لذلك طلب من إبراهيم عليه السلام الدليل على وجود الله تعالى، وأن السبب الذي جعله يفعل ذلك هو الملك، وهذا السبب كان الأولى به أن يدفعه للإيمان بالله وشكره لأنه أعطاه ومنحه الملك، لأن سبحانه جعل السلطان بيده، فقد كان ينبغي له شكر الله، لولا أن الملك يبطر من لا يتدبرون نعمة الله، ولا يعرفون مصدرها فيضعون الكفران موضع الشكران، فمن هنا تتبين لنا منهجية المؤلف القائمة على استخراج الحكمة والموعظة من القصص القرآني، دون بحث في تفاصيل لا تخدم النص القرآني، فضلاً أن تكون فرادة منه[396]، ثم قال في الآية التي تليها وهي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ

(395) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1، ص 452.

(396) المصدر نفسه. جـ 2، ص 39.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

مَوْتِهَا﴾[397]، قال: "من هو الذي مر على القرية؟ ما هذه القرية التي مر عليها وهي خاوية على عروشها؟ إن القرآن لم يفصح عنها شيئاً ولو شاء لأفصح"[398].

وقال في موضع آخر: هكذا نجد القصص القرآني يُساق بقدر في موضعه المناسب من السياق؛ ليؤدي دوراً معيناً فيه، ويتسق مع ما سبقه منه وما يليه[399].

يرى المفسر أن القرآن الكريم يأتي بالقصص للعبرة والعظة، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[400]، مثال ذلك عند حديث المفسر عن قصة ذي القرنين، قال: ولم يتجاوز القرآن ذكر هذا الرجل بأكثر من لقبه المشتهر به، إلى تعيين اسمه وبلاده وقومه؛ لأن ذلك من شؤون أهل التاريخ والقصص، وليس من أغراض القرآن، فكان منه الاقتصار على ما يفيد الأمة من هذه القصة عبرة حِكْميّة أو خُلقية، وكذا غالباً نرى المفسر يتناول أسلوب القصص بالشرح والتفسير؛ تحقيقاً للغرض القرآني من القصص، وهو العبرة والموعظة[401].

يرى المفسر أن الغرض الأساسي من القصص في القرآن الكريم هو العبرة والعظة، وهذا لا ينافي وجود أغراض أخرى تستفاد من القصص في القرآن، تعرض لبيانها العلماء في مصنفاتهم فمنها على سبيل المثال يستفاد من القصص أن هذا القرآن من عند الله تعالى وأن ما اشتمل عليه القرآن هذا من قصص السابقين لا علم للرسول به، وإنما علمه بعد أن أوحاه الله -تعالى- إليه، وأنه صلى الله عليه وسلم يبلغ عن ربه،

---

(397) القرآن. البقرة 2: 285.

(398) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 4، ص 111.

(399) المصدر نفسه. ج 4، ص 111.

(400) القرآن. يوسف. 12: 111.

(401) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 7، ص 329.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA